من ذكريات معتقل سياسي

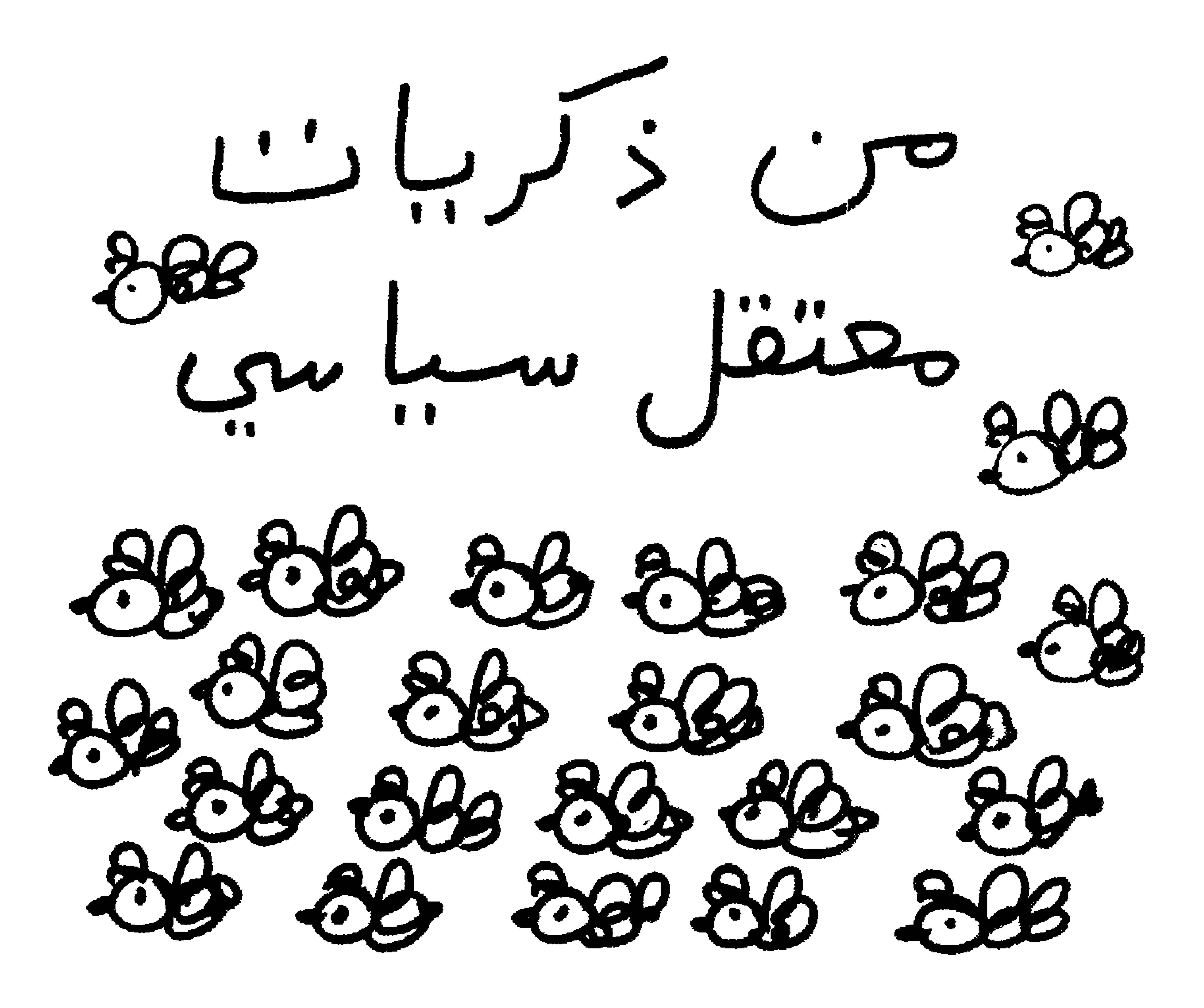
عمرو سليم



صليب إبراهيم

من ذكريـــات
معتقل سياسى

الكتـــاب : من ذكريات معتقل سياسى
المؤلـــف : صليب إبراهيم
الناشــــر : المؤلف   موبايل : ٠١٢٥٦٧٦٠٩٦
الإخراج الفنى : إم . سى للتجهيزات الفنية ت : ٢٦٣٢٨٢٢٥
المطبعـــة : بريما جراف ت : ٢٦٣٧٣١٣٠
الطبعـــة : يناير ٢٠٠٨
رقم الإيداع : ٢٥٦٨٣ / ٢٠٠٧
الترقيم الدولى : 4 - 5313 - 17 - 977



٢٦ يناير ١٩٥٢ حرق الملك فاروق القاهــرة

أول يناير ١٩٥٩ أحرق النظام كل قوي التقدم واليسار

صليب إبراهيم

شكر

الغلاف والرسوم الداخلية

إهداء من الفنان / عمرو سليم

المراجعة اللغويـة

سيـد عبد المعطى

إهـــداء

إلى الأحفاد الأحباء .. من .. وعن .. جدهم



مقـــدمة

ولماذا .. الآن ..؟؟!!

هذه السطور.. مجرد بعض الذكريات .. بعضها أليم وبشع ولا يصدقه أى عقل .. وليست مذكرات أو سيرة ذاتية، وليست تاريخاً لحقبة سوداء فى تاريخ الإنسانية ، وليست تجربة شخصية لأن التجربة قد خصت عشرات بل مئات .. ولكنها تخص ألوفاً من أخلص رجال الوطن والحرية والديمقراطية .. ولقد قام الكثير من الزملاء بتقديم كثير من الكتب عن تجاربهم مع هذه الأحداث، وبأبحاث حقيقية صادقة لما عانوه من أبشع أنواع القمع، حُفرت على أجسادهم وعقولهم لسنين طويلة .

وبعض ذكرياتى منها ما هو مؤلم ، وحزين ، وكريه ، وبعضها أو القليل منها قد يكون مدعاة للابتسام الباهت حتى لا يكون اليأس هو نهاية طريق ..

ولماذا الآن وبعد أكثر من خمسين عاماً تقريباً من الأحداث ، وبعد أن وصل العمر إلى أرذله ، وقارب نهايته ، وهو على أبواب الثمانين عاماً . ورغم تآكل الذاكرة إلا قليلاً إلا أن ذلك سيكون عذراً للسهو وليس للخطأ . صور خاطفة إنسانية لبعض ذكريات سجون ومعتقلات .. سجون عهد الملك فاروق : قسم الوايلى، معتقل روض الفرج ، معتقل الهايكستب، وسجون عهد الثورة، القلعة، والواحات الخارجة، وأوردى ليمان أبو زعبل، ومعتقل الفيوم ، وسجن القناطر الخيريـة .

ذكريات .. بدأت مع حريق القاهرة فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ واستمرت أكثر من ١٠ سنوات وحتى بعد عام ١٩٦٢ وإن كانت السخافات الحكومية استمرت أكثر من ذلك، وبدأ (نبش) الذاكرة أثناء مسامرة على طريق الفيوم الصحراوى مع أكبر أبنائى عندما سرح بى الفكر والبصر فى الصحراء الجرداء ، وسألنى : أين أنت ؟

وقلت له بعفوية : فى صحراء الواحات الخارجة .. ياه .. بعد كل هذه السنين !! .. نعم .. وكل هذه السنين لم تمح التجربة ..

وقال لى : لماذا لم تكتب ذكرياتك أو ما تبقى منها أو القليل الذى تتذكره ؟ ليس للأبناء أو الأسرة .. فقد عانت الأسرة بما فيه الكفاية ولا تريد أن تتذكر . . ولكن للأحفاد .. للتاريخ .. للوطن وللأجيال القادمة ..

ولذا جاءت هذه الأوراق .

صليب إبراهيم

salibibrahem@yahoo.com

الجـــزء الأول

٢٦ ينـــاير ١٩٥٢

حـــــريق القاهـــرة

حــــريق القــاهـــرة

الزمن :ينـايـر ١٩٥٢

السحب السوداء تسيطر على حياة القاهرة والقلق فى الأفق ملموس .. والملك فاروق يمسك كل خيوط لعبـة الحكم ويحـاول أن يزيح حكومـة الوفد الرسمـيـة عن الحكم ليقدم بدلاً منها جوقة السراى .. والبلاد تغلى ضد الإنجليز والكفاح المسلح العظيم فى مدن القناة ، والإنجليز يهاجمون محافظة بورسعيد طالبين الاستسلام وطرد السلطة المصرية منها لوقف الهجمات عليهم ، **وكانت مذبحة ٢٥ يناير** للجنود والضباط المصريين الذين صدرت لهم التعليمات من القاهرة بعدم الاستسلام والاستشهاد . (ينسب عيد الشرطة إلى هذه المناسبة) وعدم الاستقرار يسيطر على كل شىء فى مصر ، وصحف المعارضة تنشط وتنشر ابتداء من رعاياك يامولاى (مصر الفتاة) ، إلى نعى بالصفحة الأولى لعضو مجلس الأمة (الوفدى (الأستاذ إسطفان باسيلى الذى قدم قانوناً لمنع العيب فى الذات الملكية (جريدة الملايين) والتى كنت أكتب بها فى الأمور العمالية وقتذاك وغيرها من الصحف والمجلات وعلى رأسها دار مجلة روزاليوسف وكلماتها النارية .

وكان لابد أمام العائلة الملكية من شىء يحدث لإيقاف كل المد الثورى الموجود بالبلاد وإزاحة الحكومة الوفدية عن الحكم ، ووقف المظاهرات فى الشوارع، وإلغاء الكفاح المسلح ضد المستعمر بمدن القناة ، وتكوين قبضة حديدية تحكم البلاد بالملك والحديد والنار .

وكان حريق القاهرة فى ٢٦ ينايـر ١٩٥٢

فجأة وفى أثناء المآدب التى أقيمت بقصر عابدين بالقاهرة احتفالا بمولد ولى عهد الملك فاروق والتى كانت تضم كافة القيادات والرتب العالية بالجيش والشرطة وكل من يملكون إصدار القرار ، اندلعت فى شوارع القاهرة الحرائق .. بطريقة عبثية مدروسة ، وعم السلب والنهب كل شىء وكرات اللهب المغموسة بالبنزين

تلقى على دور السينما والفنادق وكبرى المحلات التجارية " وكل ما ينبض بالحياة فى القاهرة فى تدبير منظم مدروس ومخطط له سابقاً .

لا أحد تصدى للحرائق .. لا مسئول يتصرف .. لا سيارات إطفاء تريد أن تعمل ..لا شرطة فى الشوارع تحاول أن تمنع ذلك .. لا ..ولا .. وألف ألف لا ؟!!

احترق فيه حوالى ٧٠٠ مبنى وقتل عشرات وخسرت مصر الكثير والكثير (إحصاء رسمى) .

وكانت الكارثة السوداء والدمار يلف كل شيء بالقاهرة . وحاول وزير الداخلية (فؤاد سراج الدين) أن يتصل بوزير الحربية لإنزال الجيش للسيطرة على الدمار والتخريب ، ولكنه فشل لأن الجميع فى المأدبة الملكية ولا يمكن الاتصال بأحد منهم . وأعلنت الأحكام العرفية " وحظر التجول بعد الغروب " وطبعاً أقال الملك حكومة الوفد وتم اعتقال عدد كبير من أصحاب الرأى الحر ، أدباء " صحفيين ، عمال ، طلبة، قياديين .. الخ

وبدأت خفافيش الليل تطرق الأبواب فى منتصف الليل ومعها قوائم معدة بالاعتقالات السوداء ، وبدأت الأبواب تفتح عنوة وكأنها معركة حربية بين البوليس وصاحب الشقة . عاوزينك فى القسم ولمدة ساعة ، لا ملابس ، لا حقيبة ، لا مستلزمات للذى سيصبح قيد الاعتقال ، وأثناء تفتيش شقتى بالقاهرة استولت المباحث على مسودة كتاب كنت أقوم بإعداده وكانت المطبعة ستبدأ فى طباعته خلال شهر وهو كتاب (نصف الشعب) عن حرية المرأة فى مختلف العصور . ولم يتم إرجاع أصوله وتوقفت طباعته .

وبدأت سيارات الشرطة تزغرد طول الليل مع حظر التجول وتجمع كل من بالقوائم السوداء .

وجاء نصيبى إلى قسم الوايلى بالعباسية وهو قسم بوليس قديم متهالك وذلك لأنى كنت أسكن فى منطقة منشية الصدر التى تتبع هذا القسم ، وقيد اسمى ضمن الوارد وكنا حوالى ٢٠ معتقلاً داخل حجرة قذرة مساحتها ٢ × ٤ أمتار ، وبها دورة

مياه من الداخل بشعة الرائحة بلا باب ومن داخل حجرة الحجز حجرة صغيرة مخصصة للنساء من المسجونات .. سرقة .. تشرد .. مخدرات .. دعارة .. إلخ .

وشاركنا فى هذه المساحة أصحاب السوابق وتجار المخدرات والمراقبون ، أى كل من يمضى سنين المراقبة بعد الحكم عليه لينام فى القسم لضمان عدم قيامه بأى نشاط ليلاً . لكن المضحك أن بعض هؤلاء من أصحاب السوابق عندما يحين الليل وتهدأ الحركة يخلى سبيلهم بالاتفاق لمزاولة نشاطهم الإجرامى ثم يعودون فى الصباح الباكر لاقتسام الغنائم بكل ثقة وطمأنينة . **والأشد إضحاكاً أو طرافة** .. ما حدث فى ليلة ما عندما فتح باب الحجز الذى كنا بداخله، وأحضر شاويش الحجز صبياً فى حوالى السابعة عشر من عمره، ولأن قانون السجون لا يجيز وضع الصبية مع المساجين الرجال خوف الإعتداء الجنسى عليهم، فلقد تم إيداعه فى حجرة النساء، وبعد قليل سمعنا صراخاً ومشاجرات وزغاريد وألفاظ نابية من حجرة النساء ثم إستغاثة متواصلة من الصبى المحجوز مع النساء، إلحقونى هايموتونى، ووصل الصراخ إلى خارج الأبواب المغلقة وحضر الشاويش ليتبين الأمر وأخرج الصبى الذى كان يتعرض للإغتصاب العنيف من السجينات السوابق .. وأخرجه إلى خارج الحجرة .. وهو يقول له جتك نيلة .. هو حد طايل .. وكانت ليلة طويلة طريفة من التعليقات لولا مداعبات الحشرات .

وسألنى من يجلس بجانبى وعرفت منه أنه تاجر مخدرات : أنتم إيه يا بهوات ؟؟

احنا بتوع السياسة . وطبعاً لا نوم على الإطلاق .. إما وقوفاً أو قعوداً ولا من يسأل أو يجيب عن سؤال . ـ بس يا أفندى !!

وكان ما يقلق الليل رغم كتم الأنفاس هو الوارد من السكارى والشاردين فى الشوارع (حظر تجول) وكانوا مادة للتسلية رغم النكد اليومى .. مين أنا جدع وهذا الجدع كان دائماً مطمع النشالين بحجز القسم للاستيلاء على ما بجيوبه مهما كان ، هذا إلى جانب صراخ وسفالة بعض النسوة السوابق طول الليل .

واستمر الحال على ما هو عليه عدة أيام : لا طعام .. لا ملابس نظيفة ..

حشرات وخلافه .. وكان شاويش القسم يقوم بشراء بعض الطعام ليوزع على مجموعة السياسيين نظير المعلوم .. بل وكنا محل عطف أسر تجار المخدرات لبحبوحة عيشهم ودخلهم المرتفع "فكانوا يقومون بتزويدنا ببعض الطعام والسجاير لمن يدخن . ولعدة أيام تمر وإذ فجأة يقرر لنا الخروج من هذا الحجز أو هذه المقبرة، ويجرى الترحيل إلى معتقل روض الفرج وهو يتبع قسم روض الفرج ، طابقان منفصلان عن القسم وكانتا نقطة تجمع للمعتقلين من المحافظات الأخرى من الوجه البحرى والقبلى ، كانت ميزته أننا نرى النور والسماء والهواء مخترقاً الشبابيك والقضبان الحديدية . أما الطعام فكان يقدمه متعهد يتبع وزارة الداخلية . وللأسف عندما اكتشفت إدارة المعتقل أن هتافات المعتقلين ومخاطبة المارة فى الشوارع من الشبابيك ، ومجاولة هروب زميلين من المعتقل بربط بعض البطاطين واستخدامها كحبل للخروج من شباك تمت زحزحته ، وللأسف تم اعتقالهم مرة أخرى .

وكان لابد من نقل هذا المكان الآمن بالنسبة لنا من وسط البلد إلى منطقة أخرى .

وفى منتصف ليلة من فبراير ١٩٥٢ والبرد قارس والقاهرة فى ظلام دامس بعد احتراقها ، تتحرك دائماً قوافل الشرطة ونشحن فى سيارات مصفحة مغلقة .. إلى أين ؟؟ لا أحد يدرى بالطبع فمن قائل إلى سجن مصر وآخر إلى أبو زعبل وآخر إلى القلعة ، وسار الركب وعند بزوغ الشمس اتضح أنه قد حط الرحال فى صحراء الهايكستب على بعد حوالى ٤٠ كيلومتراً شرق القاهرة .

ومعتقل الهايكستب هو أصلاً معسكر للجيش الانجليزى بصحراء مصر ، مقسم إلى عنابر يتسع كل عنبر على أكثر من خمسين معتقلاً ويسلم لكل فرد لوحان من الخشب وحاملان من حديد لوضع الخشب عليه ليصير سريراً مع بطانيتين واحدة للغطاء والأخرى بدلاً من المرتبة . وعرف محل إقامتنا لعائلتنا التى أمدتنا بطرود بعض الملابس والأدوية ومستلزمات الحياة ، وبدأت كل مجموعة من الزملاء تلتف حول نفسها، مجموعة المنظمات إليسارية مع تعددها ، الصحفيون ، الطلبة ، الوطنيون بلا جذور تنظيمية ، حزب مصر الفتاة .

وبدأ تنظيم الحياة اليومية وتشكيل لجنة بكل عنبر لممارسة مهامها فى استلام الطعام وتوزيعه على الزملاء والاتصال بالإدارة لبحث حل بعض المشاكل اليومية وكانت المفاجأة أن هذا المعتقل قد تم افتتاحه منذ حوالى أسبوعين قبل حريق القاهرة وضم بين جدرانه عدداً كبيراً من الأبطال الفدائيين والناشطين ضد الإنجليز من مدن القناة ، وتبين أن النية كانت واضحة تماماً فى تصفية الكفاح المسلح ضد الإنجليز فى السويس والإسماعيلية وبورسعيد ، وهذا يكشف منظومة حريق القاهرة مع التآمر المخطط لإقالة حكومة الوفد وبسط سلطة السراية وإيقاف أعمال الفدائيين.

وكان على رأس تنظيم حزب مصر الفتاة الأستاذ عبد الخالق التكية وحلمى الغندور أعمدة مجلة مصر الفتاة .. ومعهما عادل حسين شقيق أحمد حسين رئيس الحزب وعلمت بعد سنوات أن (عادل حسين ومحمد جلال كشك المفكراليسارى) قد أصبحا فيما بعد من الدعاة الإسلاميين ولهم كتب فى هذا الشأن كيف ؟؟ لا أعرف .

وبدأت الحياة تسير وكان للمعتقل فناء كبير حول العنابر لأنها صحراء جرداء نرى منها وعلى بعد عدة كيلومترات مستشفى للصدر فى الصحراء الجافة يربطها قطار صغير الحجم بمنطقة العباسية . ومع تهريب بعض الصحف أو راديو صغير فى مخبأ سرى داخل الرمال وبعض الكتب المهربة كانت كافية لتشغيل الذاكرة والفكر خوف الصدأ .

وفى يوم ما وبدون تاريخ وأثناء فسحة عنبر رقم (٤) أو عنبر إلى الأبد كما سميته وقتذاك لمحت حول سور الأسلاك الشائكة المكثفة شبح صديقين لى من على بعد ونادانى أحدهما باسمى ولما اقتربت من الأسلاك فوجئت بهما لشابين صديقين عزيزين ، شوقى عبد الحكيم ويوسف حجازى ابنى محافظة الفيوم وسنورس وكانا طالبين بالثانوية العامة¨ ولهما ذكريات جميلة ومفاهيم سياسية مشتركة ومتقاربة .

ووضحت لهما أن هذه مغامرة كبيرة لا تحمد عقباها وشكرتهما ممتناً لهذه الزيارة من خلف الأسوار ، وشوقى عبد الحكيم شخصية نادرة مملوءة بالحب والسياسة والثقافة . وله عندى سطور فى هذا الكتيب نتيجة للصداقة المستمرة

لعشرات السنين فهو نموذج متفرد بين الكتاب والأدباء .

وكان لابد من إصدار صحيفة حائط علنية بالمعتقل سميتها (عنبرإلى الأبد)

وتم الحصول على الأوراق والألوان والأقلام وأصدرت عددين من مجلة الحائط بحجم٧٠ × ١٠٠ سم بمانشتات بعضها سياسى وبعضها عن أحوال ومشاكل المعتقلين وكانت تعلق على بطانية فى مدخل المعتقل و تحت نظر ادارة المعتقل بلا اعتراض منها ، ونشرت خبراً هاماً بهذه الصحيفة هو قيام وكيل مجلس الدولة المستشار سليمان حافظ بزيارة صديقه المعتقل معنا وهو الأستاذ فتحى رضوان المحامى الكبير ورئيس الحزب الوطنى ، امتداد حزب مصطفى كامل والذى كان ضمن زملاء المعتقل ، وكانت الأسئلة :هل هناك قضية سترفع فى مجلس الدولة ضد الاعتقال أم زيارة شخصية لأساتذة القانون ؟

وكان النشاط الصحفى فى إحدى مجلات الحائط يحوى لوحة نادرة برسمى مكبرة عن قصاصة صغيرة بمجلة فنية عن الحرب والسلام للفنان العالمى بيكاسو .

وقمت بتكبيرها هندسياً بمعرفتى بمجلة عنبر إلى الأبد وأثارت إعجاب الجميع بمختلف ميولهم ، وللأسف لم أتمكن من المحافظة على هذه المجلة فقد تم تمزيقها بمعرفة الإدارة فى حملة تفتيش وترويع .

وبدأت بعض الأنشطة فى معتقل الهايكستب بعضها أدبى وبعضها فنى ، وكان النشاط الفنى الذى أبدعه المحامى يوسف حلمى سكرتير جمعية أنصار السلام المصرية ورئيس تحرير **جريدة الكاتب** ويتعلق بأغانى سيد درويش ، وذلك لأن يوسف حلمى من محبى سيد درويش وسكرتير جمعية الشيخ سيد بالقاهرة ، وكان يجمعنا ليلاً لنحفظ ألحانه وكلماته ونمضى سهرة سعيدة ، ولقد قمت بتدوين أكثر هذه الأغانى فى كشكول ومذكرات فقدت مع الزمن .

الزمن : أبريل ١٩٥٢

بدأت الأمور تستقر بالمعتقل وبعد أن تبين وقف مرتبات وأجور العاملين الذين كانوا يتقاضونها من مصالح وشركات ومنذ أول يوم بالمعتقل ، وبدأ التفكير

فى بحث المشكلة لإعالة العائلات خارج المعتقل . وأحسست ببعض الآلام بعينى وطبعاً لا يوجد أى إشراف طبى أو حتى عيادة طبية أو أى أدوية تعالج أى طارئ وذهبت مذكرتى إلى طلب العلاج إلى المباحث العامة منذ أكثر من شهرين ، وطبعاً بلا أى استجابة أو رد أو اهتمام وتركت الأمور لبعض الأدوية التى كانت تصل مهربة عبر أسلاك المعتقل .

وفجأة طرأ فى ذهنى أنه لابد من صيحة موحدة من جميع المعتقلين للحصول على أى مكاسب وكانت نقطة البداية هى ، إما الحصول على مرتباتنا التى توقفت (لتوقف عملنا على غير إرادتنا) أو الحصول على معونة حكومية طوال فترة الاعتقال ، وبدأت فى نشر الفكرة مع كل الزملاء مشفوعة بطلب تحديد موعد للرد من الإدارة ، وبناء على مذكرة وقعها الجميع أو البدء فى إضراب عن الطعام بطريقة منظمة مدروسة مع إثارة العملية قبل البدء بها فى الصحف والمجلات ووكالات الأنباء عن طريق تهريب رسائل بذلك أو أى زيارة تتم .

وفجأة وبدون سبب مفهوم صدر قرار بنقلى من الهايكستب إلى سجن الأجانب ، وكان يقع بجوار ميدان رمسيس وعلى الأرض التى بنى عليها الآن مستشفى الهلال الأحمر بعد هدم سجن الأجانب .

ولم أعرف سبب نقلى المفاجئ إلى سجن الأجانب فهو لكبار المحظوظين ولغير المصريين .. وكان السجن يتكون من طابقين بمدخل للإدارة ومن الداخل حجرات مقسمة ، وهو مبنى على طراز السجون الإنجليزية ، فناء يتوسط السجن محاط بالقضبان الحديدية وجميع الغرف بالدور الأرضى والعلوى تطل على الفناء ومن الخلف ، معزول بسور عال حتى لا يتمكن أحد من إجراء أى اتصال عن طريق الشبابيك التى تطل على فراغ داخل السجن .

ويعتبر سجن الأجانب فى هذه الفترة لوكاندة أربعة نجوم كما ينظر إليه من هم خارجه (ومن لم يسعده الحظ بزيارته) . فهو من داخل كل غرفة شيء طيب، سرير كأسرة المستشفيات وبه مرتبة قش ومخدة (والمخدة شيء هام) ، ومنضدة

صغيرة وكرسى ، أما دورة المياه فهى خارج الحجرات .

وكان أهم التعليمات عند الدخول إلى سجن الأجانب هو نزع الكرافتات للنزلاء وأربطة الأحذية وأى أدوات كتابية أو أوراق أو مجلات ، حتى لا يشنق بها النزيل نفسه (هل ممكن الانتحار مثلاً برباط حذاء .. إنها التعليمات !!)

ورغم أن الطعام بالسجن يورد من متعهد إلا أنه يصحبه سكين وشوكة وملعقة ترد بعد الأكل (وأين هنا فكرة الانتحار؟) .

وإن كانت قد حدثت بالسجن حالة انتحار لا تسعفنى الذاكرة بتفاصيلها ، وكانت لمسئول كبير ، ولقد كتبت عنها فى بريد مجلة المصور خلال عام ١٩٥٣ رسالة مطولة بتفاصيلها (وكان يشرف على باب بريد المصور المرحوم حلمى سلام) وقد لفتت الرسالة انتباهه فأبرزها بما يليق بها لما تحويه من ناحية إخبارية وذلك فى الفترة مايو / يونية ١٩٥٣ .

وقد اكتشفت أن سبب تحويلى من معتقل الهايكستب إلى سجن الأجانب هو تحرك روتينى لمذكرة طلبى للعلاج فجأة ، ولإنهاء الدعوة التى وجهتها للزملاء بالمعتقل للإضراب عن الطعام ، وطبعاً علِمت بها الجهات المختصة من بصّاصيها، وطلبت الجهات المسئولة إجراء كشف طبى وعلاجى فى أطول فترة ممكنة بعيداً عن معتقل الهايكستب .

وفعلاً وفى صباح يوم ما حضرت قوة من الشرطة بصحبة ضابط شاب ومعه مجموعة من الحراسة المشددة بالأسلحة ، وصحبنى إلى مستشفى الدمرداش بالعباسية ، ومع توصية بمعاملتى معاملة حسنة بالمستشفى ، وتساءل الأطباء عن هذا الزائر المريض المحاط بالحراسة المشددة ؟ وعندما علموا بأنى معتقل سياسى وارد من معتقل الهايكستب، وعرفوا منى بأسماء بعض المعتقلين ، خاصة الأطباء منهم استقبلونى استقبالاً حاراً (شاى وسندوتشات وقهوة وسجائر بوفرة) وعند الكشف على أخبرونى أنهم لا يستطيعون حجزى بالمستشفى لأن الحالة المرضية بسيطة ، ولا تستحق الإقامة بالمستشفى ، ولكنهم سيطلبون عودتى بعد يومين فقط

لإعادة الكشف والعلاج ثم عودتى لمعتقل الهايكستب ، وطبعاً خوفاً من المسئولية .

وفى عودتى من المستشفى رافقنى الضابط الشاب المهذب ، وجلسنا بسيارة التراحيل نتجاذب أطراف الحديث عما يحدث بالقاهرة وببلدنا عامة، وحظر التجول واعتقال المئات من الشرفاء ، وأنه كمصرى أولاً يشعر بما نحن فيه .

واشترى لى عدة علب سجائر للزملاء رغم أنى لا أدخن كما أخبرته ، وشد على يدى وقال :

ـ شدوا حيلكم والجميع يشعر بالمأساة .

وأعادنى إلى باب سجن الأجانب بابتسامة وحب .

وكان هذا الضابط الشاب صورة حضارية مصغرة تختلف كثيراً عما شاهدته من زملائه من الضباط . وعدت إلى سجن الأجانب لأستمتع بكوب من الشاى بالحليب مرة صباحاً ومرة مساءاً ، وبيضة كل يوم مع بعض الجبن .. والأخطر رغيف عيش فينو ... يا للهول (على رأى يوسف بك وهبى)

ولأن السعادة لا تدوم فكانت لحظة خاطفة من الرفاهية، وصدرت الأوامر والتعليمات بالعودة مرة أخرى إلى معتقل الهايكستب .

وفى الطريق وبناحية ميدان العباسية طلب الشاويش قائد المأمورية من سائق السيارة التوقف قليلاً وقبل الذهاب إلى الصحراء لنشرب شاياً ساخناً بأحد المقاهى .

ودلفنا إلى مقهى شعبى صغير وجلسنا نطلب الشاى والتف حولنا رواد المقهى مستفسرين عن هذه الجوقة البوليسية وهذا الأفندى الذى يحرسونه (والذى هو أنا) وشرحت لهم بإيجاز الموقف السياسى والمعتقلين والقضية الوطنية بتفاصيلها ..

ولمحت المودة والحب والتعاطف والذى بدأ بكميات من المشروبات المجانية التى أحاطتنا وبعض الأطعمة وخلافه ، وكانت هذه دلالة أخرى على فهم البسطاء من الناس لما يدور فى بلدهم .. ولكنهم مغلولو الأيدى ، فلقمة العيش تطحن الناس

وتغل أيديهم عن التحرك الإيجابى فى مشاكل الوطن .

عودة إلى الهايكستب

فى طريق العودة انتابتنى أفكار إعادة الدعوة للإضراب عن الطعام ، وماذا تفعل عائلاتنا جميعاً بعد توقف صرف المرتبات :

وكان لا بد من الإضراب عن الطعام بشكل منظم ليرتفع الصوت إلى خارج المعتقل وإلى كل العالم لو أمكن ، والإعداد للإضراب يتطلب تنظيماً دقيقاً من حيث الاتصال بالعائلات بالخارج ، ووكالات الأنباء ، والصحف ، كما يتطلب الإعداد الطبى لاستبعاد كبار السن . وكان لا بد من الاشتراك فى الإضراب حيث سبق أن دعوت له (كفرد) أما الآن فقد وافقت المنظمات اليسارية جميعها عدا تنظيم مشمش (منظمة شيوعية مصرية) فكان له رأى آخر يختلف عن كل الآراء فى كل شىء ، وبدأ الإضراب بالحقنة الشرجية كما قرر الأطباء فى أول يوم ، ثم جرعة زيت خروع كريهة الطعم والرائحة ليطرد من الجسم أى فضلات فى الأمعاء ، ونظمت الخدمة للمعتقلين من الزملاء وتوقف استلام الطعام من المتعهد للمضربين، واستبدل فى إليوم الثالث بالماء وعليه بعض قطرات من الليمون لتطهير المعدة ، وفى اليوم السابع بدأت رائحة الجوع تظهر فى العنبر (الأسيتون) ووضح إصرار المعتقلين على الاستمرار فى الإضراب ، وحضر مسئولون كبار وكابات حمراء وزرقاء ومناقشات ومقابلات ، وفى إليوم الثامن من الإضراب ظهرت كشوف بأسماء المعتقلين ليصرف كل منا أربعة جنيهات لكل معتقل (يابلاش !!) .

وإن كان الصرف لم يتم لمن هم من علية القوم من المعتقلين وعلى رأسهم الأستاذ فتحى رضوان المحامى الكبير وعبد الخالق التكية الصحفى المعروف والتاجر الغندور ...

وتفننا فى توصيل هذا المبلغ الكبير إلى الأسرة فى الخارج (أحسن من ما فيش) وإن كان الصرف قد توقف بعد شهرين .. لنفاذ الميزانية !!!

وبدأ الزملاء فى إعداد برامج فنية وثقافية للقضاء على أى ملل ولتربية ثقافية ومحو أمية للحراسة وإجراء محاضرات نهارية ، وفى الليل يكلف أى زميل بتلخيص أى كتاب مثلاً أو فيلم سبقت مشاهدته .. أو سرد بعض القصص لكبار الأدباء العالميين وسرد لخبرات فى مختلف أوجه الحياه .

وكانت الحياة تسير لولا بعض المنغصات من أمور الحملات المفاجئة للتفتيش والبحث عن الممنوعات وهى أساساً الصحف والمجلات والورق والأقلام .

وقد بدا واضحاً للعيان أن نظام الحكم فى بلدنا يضطرب شيئاً فشيئاً وأن عدم الاستقرار السياسى والوزارى محفوف بالمخاطر وأن توالى عدة وزارات على نظام السلطة ، فمن حكومة نجيب الهلالى إلى حكومة مرتضى المراغي والعودة مرة أخرى إلى حكومة نجيب الهلالى وتصريحات حكومية متضاربة بأن حالة الطوارئ ستلغى بعد أن امتد حظر التجوال من السادسة مساء حتى التاسعة بعد أن تقوم حكومة مرتضى المراغي باستيراد الأسلحة اللازمة من الخارج ، لحفظ الأمن والأمان فقط وليس لعمل حربى مثلاً وسط هذه الأجواء الحبلى بالأحداث حدث شىء عجيب بالمعتقل .

قيادة المعتقل للمعتقلين

فى صبيحة يوم حار ، حدثت مناوشات بين بعض الزملاء المعتقلين وبعض من أفراد الشرطة والحراسة خارج الأسوار وعدد قليل جداً منهم كان بمبنى الإدارة وهبت صيحة ثورية ، وبدون إعداد أو ترتيب مسبق بل كان الموقف عفوياً .. قام المعتقلون بطرد الحراسة الشرطية من الداخل ووضعت متاريس على أبواب المعتقل وتمت السيطرة على غرفة الإدارة وبها أهم شىء وهو التليفون وهو سيد الموقف ، وتم الاتصال منه بالصحف والمجلات ووكالات الأنباء وغيرها ، وفضح ما يتم بالمعتقل وشرح كل الظروف السياسية التى أدت إلى هذا وكشف التآمر على سيادة الوطن واستمر هذا العمل لمدة ساعة زمنية تقريباً حتى حضر قائد المعتقل مع ضباطه وقوة ضخمة من الشرطة لتفاجأ كل هذه القوة المدججة بالسلاح بأن كل

معتقل فى عنبره وعلى سريره هادئ أو نائم .. وكأنه لم يحدث شيء . وأسقط فى يد قائد الحملة .. لأنه لم يشاهد أى خروج على النظام المألوف . وعادت الأمور إلى نصابها باستثناء تكديرة خفيفة .. ممنوع الفسحة .. ممنوع الإنارة وقطع التيار الكهربائى ليلاً والذى كان يستخدم فى تدبير الحياة المعيشية .. مثل تسخين المياه فى أوعية معدنية (صفيحة مثلاً) بواسطة سلكين وقطعة من الخشب وعمل أكواب الشاى الساخنة بالكهرباء المباشرة .

ومن الملاحظات التى أحسها الجميع بأنه لم يتم الإفراج عن أى من المعتقلين طوال فترة الاعتقال التى بدأت فى ٢٦ يناير ١٩٥٢ وحتى ٢٣ يوليو فى نفس العام إلا عندما أعلنت الثورة وتمت الإطاحة بالنظام الملكى وطرد الملك فاروق بعدها بأيام .

وأخيراً سمح للعائلات بزيارة ذويهم بتصريح من المباحث العامة وفى أضيق الحدود ، وكان أجمل ما حدث نتيجة لذلك ، زيارة الأطفال مع أسرهم داخل العنابر وإشاعة البهجة والفرحة والأمل بين المعتقلين .. فهذا ابن فلان وتلك الطفلة الجميلة ابنة زميل آخر ، إحساس إنسانى رقيق فالحرمان من أبسط مباهج الحياة .. الحرية .. الأخضرار .. العائلة والأطفال .. شيء شاق وصعب الاحتمال إلا لكل من يرغب فى البذل والتضحية .

يوليـــو ١٩٥٢

اشتد الصراع بين السراى وقيادة نادى ضباط القوات المسلحة وإجراء انتخابات لمصلحة نفوذ رجال السراى هل هو إسماعيل شيرين باشا .. أو حيدر باشا .. أو اللواء محمد نجيب الذى انتخبه الضباط بالإجماع ، والذى أثار حفيظة الملك فاروق ، وكانت تلك الشرارة التى أشعلت الموقف فى مصر وعجلت بقيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وسيطرت القوات المسلحة على نظام الحكم بعد اعتقال كبار رجال القوات المسلحة الموالين للملك فاروق .

وفى ليلة ٢٣ يوليو أعلنت الإذاعة المصرية بيان القوات المسلحة والذى أعلن

الحرب على الفساد والرشوة والمحسوبية .. إلخ بما جاء بالبيان .

وتحركت قوات الجيش فى الشوارع ومنافذ ومداخل الطرق والميادين وتم تمديد حالة الطوارئ .

ولم يتبين الأمر لنا فى المعتقل إلى أن جاء الصباح المشرق وحتى حوالى العاشرة صباحاً لم تصل قوة الحراسة الجديدة ولم يصل الضباط المسئولون ولا مأمورالسجن . أين هم ؟؟ محجوزون على مداخل طريق الهايكستب للأمن والأمان، إلى أن وصل موكبهم ومعهم بصيص من الأخبار، لقد قامت ثورة فى البلد ، وعن طريق راديو صناعة محلية إريال وعامود كربون صنع الزملاء راديو للطوارئ أمكن الاستماع منه إلى الأخبار خارج المعتقل . وبدأت المناقشات والمحاورات بين التفاؤل والتشاؤم .. هل هى ثورة شعبية ؟ أم ثورة عسكرية ؟ .. هل هى ديمقراطية أم قمعية ؟؟ وتوالت التحليلات إلى أن صدر قرار طرد الملك فاروق . ثم قرار تشكيل حكومة جديدة كان من ضمن تشكيلها الأستاذ فتحى رضوان المعتقل معنا ، وقد حضرت بعد يوم سيارة خاصة وحراسة من الحرس الحربى طالبين من إدارة المعتقل تسلمه لسفره للإسكندرية لأمر هام ، وكان هذا الأمر هو توليه وزارة الإرشاد القومى ، وكان من أول قراراته طلب الإفراج عن المعتقلين السياسيين حتى تبدو الثورة فعلاً من أجل مبدأ الحريات .

وصدر للمباحث العامة فورا قرار الإفراج عنا (عدا ١٤ معتقلاً) بحجة أنهم مطلوبون لقضايا ومحاكمات .

وحتى عملية الإفراج كان بها بعض المهانة ، شحن كل ٣٠ معتقلاً فى سيارة شرطة مكشوفة مع حاجياتهم ، وامتنع المعتقلون المشحونون كأى بضاعة من أى هتاف بالطريق سواء تأييدا أو معارضة وأفرغونا من السيارات بميدان العباسية بالقاهرة وانطلق كل إلى حال سبيله وتوجهت إلى شقتى بمنطقة منشية الصدر والتى كانت تضم والدتى وأختى ، ووجدتها صفصفاً ، تسلمها صاحب المنزل بما فيها نظير الإيجار المتأخر ، وسافرت إلى بلدتى الفيوم موطن الأسرة ، وفوجئت بأن أهل

الشارع الذى تسكنه الأسرة قد قاموا بإحضار فرقة موسيقية تعزف طول الليل لاستقبال المحتفى به وهو من حارب الملك وأصبح من رجال الثورة !! ووزعت الحلوى والشربات على كل أهل الشارع وبدأت أعمال الطهى واللحوم والدواجن ترسل رائحتها الجميلة بالمنزل والمنازل المجاورة .

وعند العشاء (والطبالى) ترص فى كل مكان فرحة وبهجة وسرورا بعودتى لأسرتى ، وعلمت من الجيران أن والدتى الطيبة (رحمها الله) لم تطبخ بالمنزل طوال فترة اعتقالى ، وكان طعامها (قرديحى) أى بدون زفر حزناً على غيابى ولمدة ستة شهور بالتمام والكمال .. لأن اللحوم من علامات الفرح والأسرة حزينة .

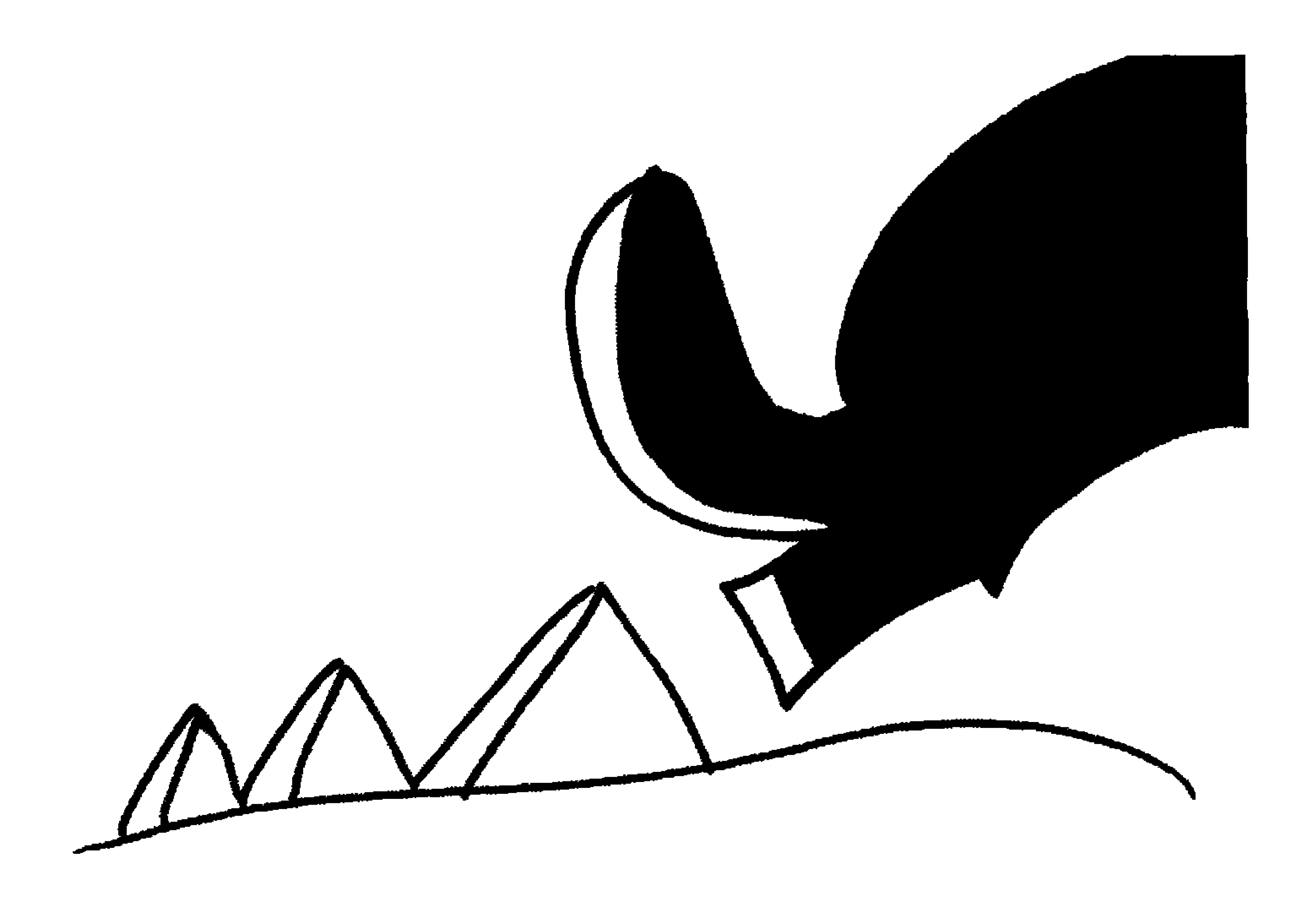
وهو مفهوم موجود ولايزال سارياً بالريف وعند وفاة أى فرد بالأسرة وحتى الأربعين .

وسارت الحياة بالبحث عن عمل بعد فصلى من العمل القديم .



الجزء الثانى

أول يناير ١٩٥٩ نكسة الحرية



صـــورة   يوم التتار العالمى !!

الزمن : ١٩٥٩/١/١

المكان : القطر المصرى كله

كانت الغيوم السوداء تظلل كل الوطن ، وكان الجو السياسى فى القاهرة متوتراً ينبئ عن أفق مظلم وثورة فى العراق ، وصراع حزب البعث ، وسوريا والوحدة التى بنيت على غير أساس ، وموقف **خالد بكداش** سكرتير الحزب الشيوعى السورى وهجوم عبد الناصر على الشيوعيين فى ٢٦ ديسمبر ١٩٥٨ بعد مطالبته سوريا بحل الأحزاب .

كانت علامة وإنذاراً بأن الأمور تسير من سيئ إلى أسوأ فى الوطن العربى وخاصة فى القاهرة ، حيث رأى عبد الناصر العمل بالوحدة الاندماجية فوراً واتهام كل مخالفيه بالعمالة والخيانة .

.. بل وقبل هذا التاريخ بشهور ، بدأت حملة اعتقالات مصغرة لستة معتقلين فى شهر سبتمبر ١٩٥٨ شملت المناضل غنيم مصطفى غنيم وإسماعيل عبد الحكم وسمير كامل وأخرين ، ألقى بهم بعيداً فى سجون محافظة قنا فى أسوأ حال وأسوأ معاملة . ويبدو أن اعتقال هذه المجموعة المصغرة .. كان بروفة أو مقدمة للهجوم التترى الذى تم فى أول يناير ١٩٥٩ ، وكان سقوط بعض الشهداء فى سوريا (**المناضل فرج الله الحلو**) سكرتير الحزب الشيوعى فى لبنان ، وتصفيته جسدياً لموقفه من طريقة إعداد الوحدة المصرية السورية .

وبدأت حملة صحفية شرسة على مستوى جميع الصحف وتصدرتها دار أخبار اليوم لإعداد ساحة المعركة ، كما بدأت حملة بوليسية موسعة شملت القطر المصرى كله وتم القبض فيها على المئات واستمرت الحملة حتى ٣٠ مارس ١٩٥٩ ،

حيث كانت الهجمة التتارية الثانية وبها تعدى الاعتقال ما يقرب من ١٠٠٠ معتقل من القاهرة والوجه البحرى والوجه القبلى وفى جدول محدد وفى توقيت واحد ، منتصف الليل اقتحمت كل المنازل وتحطمت الأبواب فى عنف وقسوة وهجم التتار على سكان هذه المنازل ، وهاجم فريق منهم مسكنى بالفيوم ، وعبثوا بالمنزل ، وقلبوا كل شيء وتحسسوا المراتب والوسائد وألقوا كل الملابس خارج الدواليب ، ومزقوا ما يشتبهون فيه ، وتعليمات بارتداء ملابسى ، وكان أحد المخبرين يعبث بجاكيت لزوجتى وأخفى بين أصابعه شيئاً ما من الجيب وتنبهت زوجتى وهجمت عليه وهى تقول دى نقود مرتبى ، وأسقط فى يده وألقى النقود أرضاً والتقطتها زوجتى ونظر له ضابط مجموعة التفتيش فى غيظ وأنسحبت القوة وأنا معهم ، وقبلتها قائلاً :

– خلى بالك من الأولاد ، وخارج المنزل وجدت فيلقاً من الشرطة يحوط المنزل والشارع والميدان ، وكأنها معركة حربية بالمدافع الرشاشة والبنادق .

وشحنت إلى أحد أقسام الشرطة بالفيوم البعيدة عن العيون .. وكانت المفاجأة أن وجدت أصدقاء لى قد سبقونى إلى هذا المكان منهم الزميل محمود مرسى ورمضان شمبوليه ومحمد عبد الفتاح وطه سعد وثابت إبراهيم (شقيقى) وجابر بريقع وصفوت حماد ، وذهل الحراس عندما وجدونا نقول أنت جيت وهات يا أحضان وكأننا لم نر بعضنا منذ مدة طويلة .

_ الكاتب شوقى عبد الحكيم وصديقه يوسف حجازى اعتقلا فى حملة مارس ١٩٥٩ ، ومن الطريف أنه عند اعتقال شوقى من بلدته مركز سنورس لم يجدوه لأنه كان يعمل بمدينة القاهرة ، فاعتقل والده الأستاذ عبد الحكيم هلال الناظر بالتربية والتعليم بالفيوم حتى يسلم ابنه نفسه ثم يفرج عنه .

والأطرف من ذلك أنه قد اعتقل أيضاً شقيق ليوسف حجازى أسمه محمود وهو فلاح أمى لا يعلم أى شىء إلا الزراعة والأرض، وقال له

والد شوقى عبد الحكيم أثناء ركوبه سيارة الشرطة : ـ وأنت يا محمود ظبطوا عندك نخلة وللا شجرة !!!

وكان الجلوس على بلاط الحجز بالقسم صعباً بسبب برد الشتاء وطلبنا شيئاً نجلس عليه وأرسلنا شرطياً إلى السوق واشترى لنا حصيره من القش وجلسنا عليها نتسامر ونبتسم والحرس فى ذهول ، وكأننا فى جلسة فلاحى لا ينقصها إلا عدة الشاى والفحم والمعسل .

ولم تستمر الجلسة طويلاً حتى حل الليل وأمرونا بالاستعداد للرحيل وإلى أين؟ لا أحد يعلم لأنها أسرار عسكرية طبعاً ! !

وأتت السيارة المصفحة والحرس والمدافع والموتوسيكلات وسرنا إلى المجهول واخترق الموكب مدينة الفيوم فى زفة بوليسية مهيبة بعد أن أغلق طريق الفيوم القاهرة ، وخلال الصحراء كنا نفكر ونتساءل : إلى أين ؟؟

وفى الفجر وعندما وصلنا إلى منطقة شارع محمد على أحسست أننا نسير إلى سجن القلعة وقد كان .

وأنزلونا من سياراتهم وأخذ التمام والعد لنا وأدخلنا بعد خلع الكلبشات من أيدينا ، (لأن هذه الكلبشات كانت عهدة شرطة محافظة الفيوم) ، وفى ساحة كبيرة والليل مظلم والبرد شديد جلسنا القرفصاء لعمل اللازم من إجراءات روتينية لتسجيل الأسماء والسن والعناوين واسم البلد وغيرها.. وبدأ بعضنا يتبين أن هناك مجموعة من المعتقلين أمامنا وخلفنا . ومع طلوع الفجر وأول ضوء من النهار بدأ كل منا يتعرف على أصدقاء له فى مجموعة أخرى وثانية وثالثة . واتضح أن هذه مجموعات من كل أنحاء القطر المصرى من الإسكندرية والمنصورة والمحلة وكفر الدوار وبورسعيد والسويس والقاهرة والفيوم وبنى سويف والمنيا وسوهاج وأسيوط وحتى أسوان . مجموعات من رجال مصرنا العزيزة ، وكانت الأعمال الادارية بالقلعة حفظ الأمانات مثل دبلة أو خاتم أو ساعة أو قلم حبر أو بقية نقود أو أى شىء ثمين وسجلت بالدفاتر الرسمية ، ودخلنا إلى الباب الداخلى وانقطعت الصلة تماماً

بالعالم الخارجى وتم توزيعنا بكل عنبر من العنابر العليا يحوى كل منها ٥٠ مكاناً والباقى على الزنازين الأرضية وتحوى كل واحدة ١,٥ – ٢ متر على حوالى أربعة معتقلين ، وفى الصباح تبين أن سجن القلعة يقع فوق ربوة عالية من الطريق وهو مبنى عتيق شيدته القوات البريطانية أثناء احتلالها لمصر وكان مخصصاً لحبس العسكر الانجليز .

كان السجن ضخم المبانى مبنياً بالأحجار وسمك الحائط يزيد على متر والشبابيك مغروس بها القضبان الحديدية من أمامها ومن خلفها فيبدو الشباك وكأنه (مينى زنزانة) ، وبوسط العنبر مثبت به من أعلى ماسورة حديدية بعرضه تصلح لأن يعلق بها من يريدون تعليقه بدون مقاومة للتأديب ، أما باب العنبر فمغلق تماماً ولكن يوجد بالباب ثقب مخروطى يمكن للحارس أن ينظر منه فيكشف كل الموجودين داخل العنبر . وبالعنبر أسرّة منصوبة كل منها عبارة عن لوحين من الخشب على حاملين من الحديد وعليه مرتبة بالية مع بطانية ميرى . أما الدور الأرضى فيحتوى على الزنازين بنفس النظام ، ولكن توجد فتحة مغطاة بالسقف للتهوية ولينظر منها عساكر الحراسة الموجودون على سقف العنابر والحجرات لرؤية وكشف تواجدهم وماذا يفعلون ، وطوال الليل يقوم الحرس بالتمام .. واحد تمام .. اثنين تمام .. الخ.

وأمام هذه الحجرات مبنى صغير به دورات المياه وأحواض وحنفيات الغسيل وما شابه ذلك ، أما حجرات السادة ضباط المعتقل فكانت فى مدخل القلعة ومرتفعة بعض الشيء والوصول إليها بسلم علوى بما يقربهم من ساعة القلعة عندما تدق والتى أهديت من فرنسا إلى محمد على باشا ، فوضعها فى برج علوى بالقلعة وكأنها تؤنس وحدتنا بعد أن فقدنا الإحساس بالزمن لتشابه الوقت وعدم وجود ساعات لدينا .

وعندما إزداد الوارد من المعتقلين أجرت الإدارة حركة تنقلات من الدور العلوى إلى الأرضى ووضعت مجموعة معتقلى كل محافظة بجانب بعضها البعض،

ويبدو أن ذلك تم للتنظيم فى الخروج إلى النيابة للتحقيق . واتضح أنه كلما ازدادت القيود والممنوعات يتفتق الذهن البشرى والرغبة فى الحياة لأختراق هذه القيود مهما كانت ضراوتها ، فلقد كانت الأخبار والصحف والإذاعة وخطابات العائلات ممنوعة وكل شىء ممنوع عدا وجبات الطعام الرسمية .

وفى ليلة نظر أحد عساكر الحراسة من فتحة سقف الزنزانة ويبدو أنه قد استكشف أثناء فترة عمله النهارية ، نوعية هؤلاء المعتقلين ، من مظهرهم وسماع أحاديثهم ومناقشاتهم ، وفى صوت هامس قال :ـ عاوزين حاجة يا بكوات ؟ معايا عيش وحلاوة وأكل لعشائى ، وسأنزله لكم من الفتحة بدوبارة معى .. فشكرته وتجاذبت معه أطراف الحديث لتسليته طوال ليل بارد .

وقبل أن ينصرف العسكرى مصطفى .. قال : ماذا أحضر لك غداً . فحذرته من التهور وضرورة إليقظة والسر فى بير ، طلبت منه نسخة من جريدة الأهرام مع بعض الظروف والأوراق البسيطة وبعض طوابع البريد وبعض السجائر إن أمكن .

وفعلاً عندما حضر ليلاً كان يخبئ الصحيفة خلف ملابسه ، أما الأشياء الأخرى فكان من السهل مداراتها . وبعد همسات معى لف الأشياء فى الدوبارة وأسقطها واستلمتها وربطت فى هذه الدوبارة ماتيسر .

وكان هذا العسكرى الجرىء وسيلة الاتصال بالعالم الخارجى رغم أنف المسئولين .

ومن الطريف أنه قد حضر ذات يوم صباحاً ومعه كمية من البطاطا الساخنة يحملها على يديه ويلفها فى أوراق صحيفة يومية وكانت حجته أمام الضابط أن زملاءه جوعى والبطاطا ساخنة وسأعطيها لهم من البرد ، ومرت الحيلة بسلام ، وفى الليل استلم عن طريق الدوبارة حزمة خطابات مكتوبة للعائلات وعليها العناوين وطوابع البريد السابق إحضارها .

وهكذا سارت عجلة الحياة بمعتقل سجن القلعة . وكان فى طابور وفسحة

الصباح وعملية الغسيل واستلام الطعام مجال كبير لمناقشات وأحاديث بين الزملاء جميعهم وآراء مختلفة تبدو فيها بعض العصبية ، ولقد اتضح لى أن هناك آراء متعارضة تماماً بين المنظمات التى وحدها الحزب ما بين حدتو والراية والحزب وغيره ، كل له وجهة نظره فى الأحداث الجارية ، وتبين لى أننى وزملاء مجموعة الفيوم كنا فى تنظيم حدتو وانضممنا فى يناير ١٩٥٨ إلى الحزب وانتهى الأمر عند ذلك ، ولكن بسجن القلعة بدأت تظهر الأصول السياسية لكل فرد ، ولكل رأيه المتناقض مع غيره . وفى الليل وبعد أن (تشوش) التفكير بهذه الآراء قرعت بيدى على الحائط الجانبى للزنزانة التى بجوارى ورد من بداخلها بالطرق أيضاً وندهت :

- محمود يا مرسى ؟

- نعم يا أبو جهاد (اسم ابنى)

- قوللى يا محمود .. أنا أصلى إيه ؟

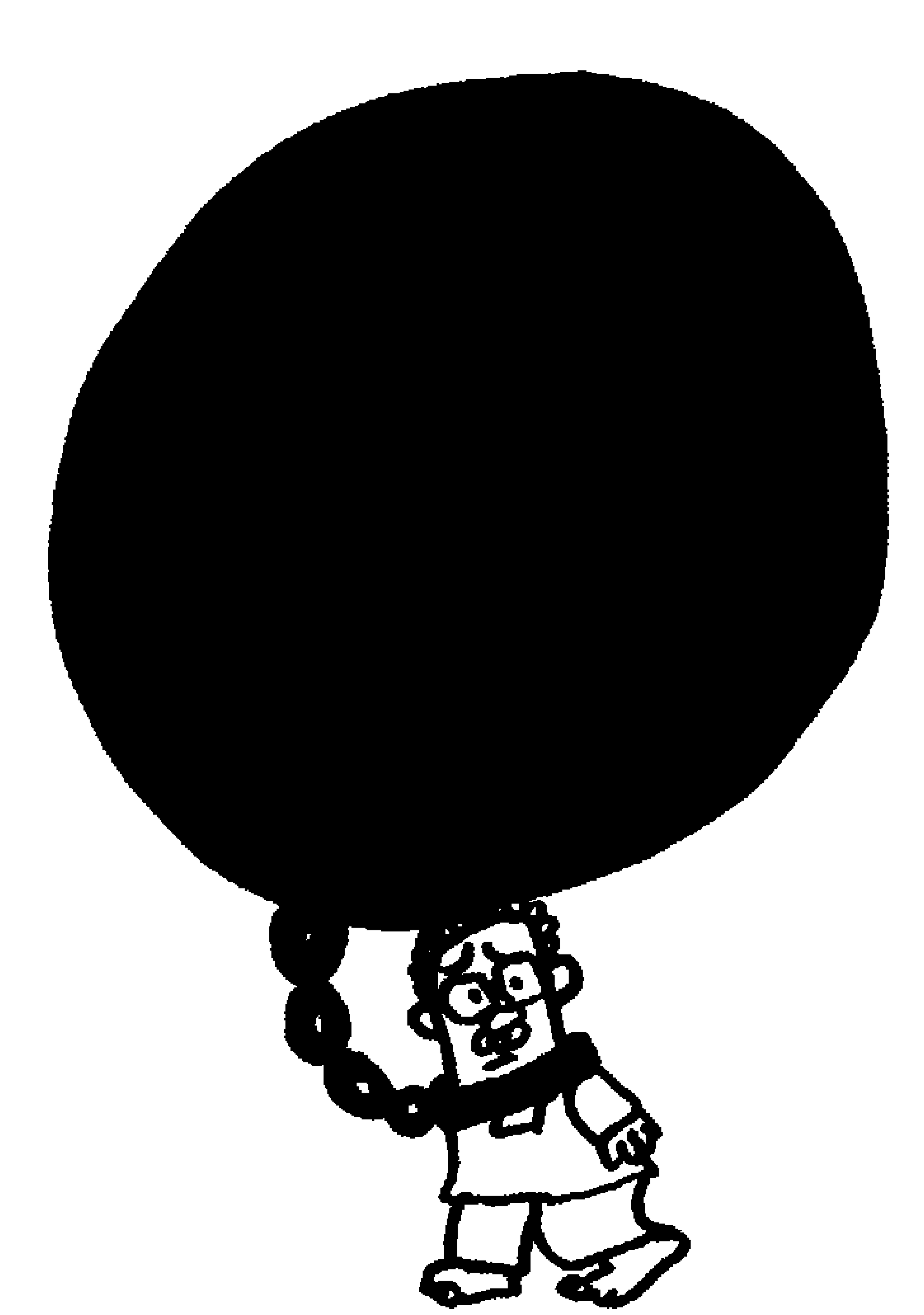
وحبكت النكتة مع محمود مرسى كعادته دائماً وقال :

- أصلك وسخ يا حبيبى ..

وضحكنا وضحك من سمعونا وطبعاً القافية تعذر

(الصديق المناضل محمود مرسى ، الآن أمين حزب التجمع بالفيوم .)

وبدأت التحقيقات ....



صـــــورة — التحـقـيـــق !!

ازدادت حملة الصحف .. و قضية الشيوعية الكبرى ، (وهل كانت هناك قضية صغرى) دائماً كبرى ، قضية الاستيلاء على نظام الحكم (أين الأسلحة التى سيتم الأستيلاء بها ـ ورقة وقلم !) .. قضية التخابر الأحمر مع السوفييت .. قضية .. قضية .. لشحن الجو السياسى والتأثير أيضاً على المحققين أثناء التحقيق .

وبدأ الاستدعاء للتحقيق .. كل متهمين مع شرطيين ، كلبش فى يد المتهم والآخر فى يد الشرطى .

وكان التحقيق فى مبنى المباحث العامة فى لاظوغلى فى حجرة أخليت للمحقق واستدعيت للدخول إلى سيادته لأجد معه بالحجرة أحد ضباط المباحث يشرف أو يتابع أو يرى الله أعلم !

ـ اسمك وسنك وعنوانك ؟

ـ عملك ؟

ـ ما رأيك فيما هو منسوب إليك ؟ .....من .....ومن ....ومن

ـ لا أعلم .

وقام المحقق بفحص الأوراق الموجودة أمامه وفوجئ بشىء ، لم يجد مضبوطات على مكتبه ، هل فقدت ؟ أم هى غير موجودة أصلاً ؟ واحتار ماذا يقول ؟

وأبدى استياءه وقال : **بماذا تعلل عدم وجود مضبوطات لديك** ؟!!!! ، لأن القاعدة هى أنه يجب أن تكون هناك مضبوطات حقيقية أو مصنوعة .

ابتسمت لهذا السؤال الصاعقة وقلت فى سرى الجلسة الجايه سأحضر معى مضبوطات ، وعت إلى سجن القلعة ليستكمل التحقيق مع بقية الزملاء . وفى أثناء

طابور الصباح ليوم تال واللقاء مع بقية الزملاء كانت الأسئلة ، ما طبيعة التحقيق ؟ هل هى قضية سياسية ؟ أم قضية جنائية ؟ وتنظيمية ، الأسئلة كلها تصب فى مسائل ما رأيك فى القومية العربية ؟ هل تحب النظام وعبد الناصر ؟ هل تحب الاشتراكية والديمقراطية ؟ أسئلة هامشية وغير محددة ، والبحث عن أى مضبوطات وما لونها ومن أين أتيت بها ؟ ولماذا لم تكن هناك أدلة مادية ؟ هل هى محاكمة عسكرية أو مدنية ؟ لماذا لم يتم استدعاء أو قبول محامين عن المتهمين ؟ من هم أصدقاؤك ؟ والأوراق التى كانت معك بها أسماء هل هم أصدقاء أم زملاء أم أفراد التنظيم ؟

كل هذا ؛ ولا تنشر الصحف المصرية أى خبر عن هذه الاعتقالات . وطبعاً وطبقاً لتعليمات أجهزة الدولة ، ورغم عدم النشر إلا أن الصحف العالمية بدأت تبث الأخبار عن الحملة الضارية التى تمت فى مصر فى أول يناير ١٩٥٩ ومعتقل القلعة الذى يمتلئ بهم ، وبدأت فى نقد الأساليب غير الديمقراطية التى تتم ونقد النظام الحاكم وتحقيقات فى السر وعدم وجود من يمثل الدفاع عن المتهمين .

وفى صباح يوم شاهدت الزميل رمضان شمبوليه ابن محافظة الفيوم وصاحب ورشة إصلاح سيارات بها ، مهموماً لأنه كييف سجائر والعين بصيرة واقترح على بصفتى مدرساً سابقاً للتربية الفنية أن أقوم بعمل معرض رسومات بزنزانتى والدخول للمعرض بسيجارة ...

ـ طيب وأين خامات الرسم ؟؟

ـ ولا حاجة رسوم بالفحم فقط . وأحضر قطعة من الفحم لا أدرى كيف حصل عليها ونظفت حوائط الزنزانة استعداداً لرسمها وبدا عليها حفر باسم دكتور رءوف نظمى وتاريخ تواجده بالزنزانة وأنه رحل إلى المجهول ، ودعا من يأتى بعده للتذكر !

وبدأت فى رسم بعض اللوحات السياسية طبعاً وامتلأت الحوائط وتحدد الافتتاح الذى حضره الدكتور فؤاد مرسى والدكتور إسماعيل صبرى عبد الله

والزميل المناضل العظيم **محمد سيد أحمد** وسددوا رسم الدخول بدون أى إعفاء ، سيجارة من كل زائر. وفى نهاية إليوم كانت الحصيلة جيدة استمتع بها الزميل شمبوليه بعد اقتسامها مع أخرين . وسارت الأمور خلال الشهور الثلاثة الأولى بالقلعة ، وفى نهاية شهر مارس حدث تطور جديد ، تعليمات بالترحيل من القلعة إلى المجهول .

وفى منتصف الليل وجيش من الشرطة على استعداد وسيارات مصفحة وكل معتقل يستلم أماناته وبدأت السلاسل تربط كل عشرين معتقلاً بسلسلة واحدة (حجلات) .

وحُشرنا فى سيارات الترحيلات المصمتة ويغطيها القماش السميك ، لا يرى من بالداخل أو بالخارج شيئاً فيها ، وسار الموكب الأسود بالحراسة المشددة وإلى أين؟ محطة سكك حديد الجيزة ، وكان ميدان المحطة أشبه بساحة قتال من طرف واحد ، جنود مسلحون بالرشاشات وجنود بالبنادق وجنود أعلى المبانى وحول المنازل وجنود يتأهبون أو يتلصصون علينا .. ولا راكب واحد بالمحطة حالة طوارئ قصوى ، وجاء القطار وفوجئنا بأن إحدى عرباته المخصصة لنا هى عربة نقل حيوانات بلا مقاعد ونوافذها مفتوحة يتخللها القضبان طبعاً ورائحتها كريهة ، فضلات طعام الحيوانات وكأنها أحضرت طازة من مأمورية نقل حيوانات ليتم نقلنا بها . وبصعوبة شديدة تم حشرنا لأن الحركة الفردية صعبة ، وكل عشرين كما أسلفت فى حركة واحدة منظمة حتى لا يسقط أحد ، وكانت المشكلة عندما تكون الرغبة فى إفراغ المثانة لأحد منا أن يتحرك طابور الحجلة اللعينة بكاملهم حتى دورة المياه (فتحة بجانب عربة الحيوانات للتصرف) ثم يعود الطابور، وهكذا طوال فترة الرحلة الكئيبة ولعدة ساعات طويلة كريهة ، وتوقف قطار الصعيد فى محطة المواصلة فى حدود أسيوط وأنزل طابور العبيد وتمام الحراسة لنستقل قطاراً آخر صغير الحجم بطىء الحركة ليصل الركب خلال ساعات طويلة إلى الواحات الخارجة ، رمال .. وصخور .. ، وكثبان رملية .. وفراغ صامت أصفر .

- **حادث مروع حدث لدفعة المعتقلين التى جاءت بعد دفعتنا وكانت**

تضم من الزملاء عبد الستار الطويلة وعزب شطا وشحاته النشار وشعبان الحدق

والدكتور رزق عبد المسيح وآخرين وكان عددهم حوالى ٦٠ معتقلاً وحين وصلوا إلى محطة المواصلة وبدأوا فى النزول من القطار، ونزلت مجموعة وتعلقت السلاسل وتشابكت وتحرك القطار وبعض الزملاء بالعربة وبعضهم بالرصيف ، وكان القطار جامحاً وبدأ البعض ينحشرون بين الرصيف وعجلات القطار حتى تنبه ضابط الترحيلة إلى المأساة التى ستحدث فأطلق رصاص مسدسه بالقرب من كابينة السائق الذى تنبه إلى أن هناك مصيبة تحدث فأوقف القطار، وأمكن إنقاذ الزملاء بعد أن تكسرت بعض أيديهم وأرجلهم وأصيبوا فى أجسادهم .. هل كانت مؤامرة اغتيال أم حادثاً أم هى صدفة سيئة ؟

والرحلة بقطار الواحات تستغرق ما يقرب من الست ساعات لنصل منهكين جائعين ونسير من محطة الوصول حوالى نصف ساعة إلى ساحة فناء كبير حول سجن الواحات، مكان متسع مزروع بالحراسة المدججة بالسلاح والشوم والعصى ، وأحسسنا أن هناك عملاً يدبر لتنفيذ مؤامرة إبادة أو قتل أو تكسير عظام على الأقل وكان الصمت عوناً لنا لدفع أى عملية استفزاز مقصودة مع تنكيس الرؤوس وعدم الهمس والجلوس القرفصاء لمدة طويلة وحتى الدخول إلى مبنى سجن المحاريق ، والمبنى أنشئ حديثاً عبارة عن عنابر مستطيلة يبعد الواحد عن الآخر حوالى مائة متر والعنبر من الداخل مكون من ١٠ حجرات إلى اليمين و١٠ حجرات إلى اليسار وبنهايته دورة مياه وأحواض غسيل للملابس ويغلق كل عنبر باب حديدى يفتح من الخارج ، وبكل حجرة (حوالى ٣ – ٤امتار) شباك بأعلى الحائط ، والباب به شبكة حديدية مفتوحة تتوسطها أيضاً القضبان وبطابور وتنظيم معد سلفاً أدخل كل ١٥ معتقلاً بتشكيلة مدروسة مختلطة الآراء والأفكار . وسلم لكل فرد منا (برش) للنوم (ليف مجدول) وبطانيتان وقروانة من الصفيح لاستلام الطعام بها فى الوجبات الثلاث وبالحجرة جردلان واحد للمياه والثانى للتبول !!

وخيم السكون على المعتقلين لالتقاط الأنفاس من الإرهاق بعد رحلة طويلة من المعاناة وتبين أن العنبر رقم ١ للمعتقلين الوافدين ورقم ٢ للمحكوم عليهم من الشيوعيين ورقم ٣ خاص بالإخوان المسلمين ، ومضى اليوم فى ترقب .

وفى الصباح تفتح الغرف كل خمس على حدة ولمدة نصف ساعة للذهاب لدورة المياه وتفريغ الجرادل وتخزين مياه الشرب لليوم كله ، وهكذا ثم نصف ساعة لطابور الصباح للرياضة وبعد الظهر نصف ساعة أخرى لدورة المياه ثم يغلق العنبر بعد ذلك طيلة إليوم، ولا تفتح الحجرات إلا لتسلم الطعام فى الأوعية الصفيح الموجودة لذلك .

وكان الطعام كما سبق أن أوضحت ما بين قطعة جبن طباشيرية أو ملعقة عسل أسود داكن أو فول مسوس وشىء يسمى خضروات داكنة مطبوخة لا نعرف مصدرها النباتى وفى أفضل الأحوال تكون وجبة الغداء عدسا بالحصى والأتربة مع ثلاثة أرغفة يومية للفرد . وبدأت كل الحجرات بتنظيم تلقائى ومن خبرات سابقة باختيار (عمدة) للحجرة يتولى استلام الطعام وتنظيم الحياة داخلها مع ١٥ زميلاً . وكان لابد من القضاء على الملل المدروس والفراغ اللا نهائى ، فحدد وقت للمسامرات العادية ووقت لنظافة الحجرة ووقت لعرض قصة من الأدب العالمى ووقت لسرد فيلم شاهده أحّد الزملاء ووقت للشعر ووقت للمناقشات السياسية .

كل ذلك فى هدوء وبدون أصوات تقلق الحراس والسجانة حول العنبر ، وبمرور الأيام اكتشفنا أن للسجن مرافق بعيدة عنه قليلاً تحوى المخبز ،الذى يقوم بإعداد الخبز للمعتقلين والسجناء إنتاج درجة ثالثة بما فيه من شوائب ، ودرجة أولى لإدارة السجن وعنبر الإخوان المسلمين لأنهم كانوا يشرفون ويعملون به ، ثم مطبخ بأوعيته الضخمة التى لا تغسل إلا كل فترة متباعدة .. وعلى مبعدة من المطبخ قطعة أرض تسمى المزرعة ، مزروع بها بعض الخضروات أغلبها نبات الرجلة (التى انقرضت الآن من الزراعة) .

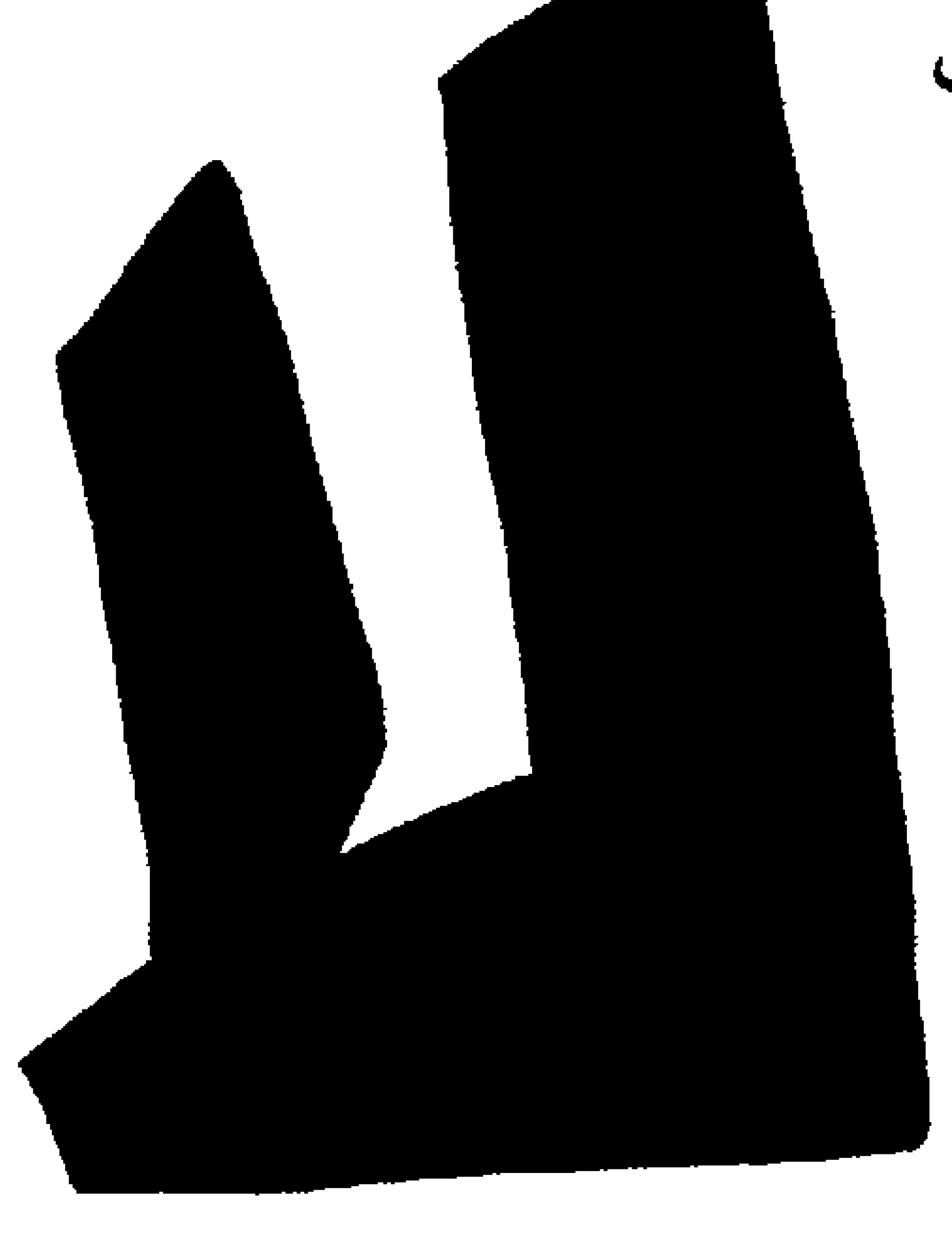
ومن الطريف أن سكان قرية الواحات الخارجة كانوا يسمون هذا السجن .. القصر الكبيرالذى يؤكل فيه العيش الفينو والعسل الحلو !!

وعلى بعد عدة كيلومترات وداخل الأسوار الشائكة يوجد مسكن للضباط ، وفيلا معزولة لسكن مأمور السجن مع أسرته . وكان يوم الجمعة العطلة الرسمية يتم فيها نقل البطاطين إلى فناء السجن لتفرش على الرمال للتهوية لمدة ساعة ، وكان لكل عنبر مندوب يحضر الطعام من المطبخ بصحبة الحراس وآخر يحمل الخبز لتوزيعه .

- وكان الزميل مندوب توزيع الخبز شخصية متفرده له سحنة أجنبية لكنه مصرى وهو الدكتور (إبراهيم أرنست هرارى) دكتوراه فى القانون الدولى وصاحب مكاتب محاماة عالمية فى مصر وفرنسا ممشوق القوام متوسط العمر لا يتحدث كثيراً مع أحد ولا يشترك فى مناقشة ما أو إبداء رأى أو حديث سياسى بوجهة نظر مختلفة .

وفجأة اختفى الزميل الدكتور هرارى ومعه صديق له من السجن واكتشف اختفاؤه بمعرفة الإدارة فى ثالث يوم وتبين أن سيارة مريبة انتظرته على بعد مسافة طويلة من السجن وأخذته إلى مطار الواحات ليركب طائرة تقله إلى ميناء الإسكندرية ويستقل باخرة إلى فرنسا ومن هناك أعلن وصوله .

ورغم مرور أكثر من ربع قرن من الزمان لم يعرف وحتى الآن كيف تم ذلك وبمعونة من ؟؟ وما هى الخطة المحكمة التى رسمت للتنفيذ ، وكتب الكثير من الزملاء عشرات الكتب ذاكرين هذه الحادثة ، ولم يصل منهم أحد إلى رأى أو معلومة تكشف حل هذا اللغز .





صـــــورة   نوفمبر الدامى ١٩٥٩

نوفمبر فى الصحراء من شهور البرد القارس والعواصف الترابية وذرات الرمال تلفح الوجوه والأجساد .

ويبدو أن غضب الطبيعة كان مقدمة لما حدث فى هذا الشهر الحزين .

وفى أوله .. زار سجن الواحات واعظ مصلحة السجون الرسمى ، لحث المعتقلين على أداء الصلاة ، ومعها وفى مقدمتها الطاعة لأولى الأمر .. وكان الشيخ الصاوى شعلان (على ما أذكر أن هذا اسمه) ضرير ولكنه مكتنز الجسد ، وبدأ مناقشة مع بعض الزملاء والتى انتهت سريعاً بعد أن واجهته فى مناقشاتنا بأنه سبق له أن كتب شعراً فى تقديس الملك فاروق بقصيدة تم تلحينها وأذيعت بالإذاعة المصرية ، قصيدة حفظ الله الملك .. وانسحب الشيخ إلى أماكن خيام العساكر والسجانين ، واتضح أنه حضر خصيصاً من مصلحة السجون بالقاهرة ليعظهم بأن هؤلاء المعتقلين .. كفرة وملحدون .. وعملاء لإسرائيل .. وأكلة لحوم الخنزير .. ويشربون الخمر .. ويجب هدايتهم إلى الطريق القويم ، ومع كل ما خطر ببالهم من اتهامات لشحن السجانين لأمر متوقع حدوثه، وهذا ما قد حدث بالفعل .

٨ نوفمبر ١٩٥٩

وفى ساعة مبكرة من هذا الصباح الكريه الكئيب ، دوت الصفارات وانطلق بروجى الانتباه وسمعت قعقعات العصى والشوم والجريد والبنادق والرشاشات مع الحراسة التى حشدت بالمئات لخوض المعركة الحربية مع المعتقلين العزل إلا من أفكارهم . وصدرت التعليمات للجميع بحمل حاجاتهم الشخصية وإخراجهم من عنبر (١) ، إلى عنبر (٢) وسط صفوف من الحراس مع السب والقذف والشتم بأقبح الألفاظ توطئة لمعركة أحسسنا بها فى أفق السجن .

وبعد أن تم إخلاء عنبر (١) تماماً ، بدأت المأساة ، والخطة الحربية التى أعدها اللواء إسماعيل همت وفريقه المتوحش .

وبدأ الصراخ مع خروج كل خمسة معتقلين دفعة واحدة لنخرج إلى باب العنبر محملين بأمتعتنا الشخصية .. لنجد صفين من السجانين متقاربين متواجهين ومع كل منهم الشوم والعصى والجريد وبجوارهم الفارس الضابط يركب حصانه والأوامر بالضرب لنسير داخل الصفين جرياً ، والضرب من الجوانب ومن الخلف .

والحصان يتبعنا لمسافة طويلة حتى ساحة باب السجن الرئيسى ولندخل فى مفرمة النظام. منصة عالية يتصدرها بكابه الملون اللواء إسماعيل همت وكيل مصلحة السجون وبجانبه اللواء صلاح طه مدير العلاقات العامة واللواء فريد شنيشن قائد سجن ومعتقل الواحات .

وتبدأ المجزرة البشرية ، الضرب فى كل مكان وبكل شراسة على الرأس والجسد والأضلاع .. وكل مكان فى الجسم مع الشتائم البذيئة والأمر بخلع الملابس تماماً وتمزيقها والركوع على الأرض والجبهة تلمس حبيبات الرمل الخشنة ، ومن يرفع رأسه يضرب عليها مع استمرار الاعتداء على الأجساد العارية ، ويحضر الحلاقون بماكينات صدئة يجز بها شعر الرأس مع الضرب عليها بالعصى .. وبحركة غير منتظمة لتشويه شكل الرأس ثم إلى الحواجب لازالتها ثم إلى أسفل حتى شعر العانة والزملاء أرضاً ، ومؤخرتهم فى مواجهة المنصة المنصوبة ، وتستمر عملية الضرب ويسحب من كل مجموعة أقواهم جسداً إلى العروسة الخشبية المنصوبة بجوار المنصة ليصلب عليها سيئ الحظ .. وتبدأ عملية الجلد بالسياط والكرابيج على الظهر وسعادة همت باشا يسأله :ـ اسمك إيه يا ولد ؟

وكان بجانبى فى هذه المجموعة الرسام زهدى .

ـ اسمى فلان

ـ بتشتغل إيه يا ابن الـ.....؟

ـ رســام .

ـ رسام يعنى إيه ؟ حرامى طبعاً .

مع الصفع والركل والدهس وكعوب الأحذية تطمس الوجوه وحتى تنتهى عملية الحلاقة والتشويه تعطى لكل منا لفافة نحملها وتبدأ معركة العودة للعنبر ، وفى نفس صفى السجانة يتم الجرى وخلفنا الحصان الشرير يدهس من يتخلف أو يبطئ ومع الجرى والدماء تنزف من كل مكان بجسد الإنسان نصل إلى باب عنبر (١) لنجد على مدخله سجاناً يحمل فى يده جردلاً مملوءاً بسائل أحمر يقال أنه ميكروكروم لتطهير الجروح ، وبعصا خشبية ملفوف عليها قطعة من الخيش يغمسها السجان فى السائل ويدهن بها الجروح أو يضرب بها المعتقل على عينه ورأسه ليصبح الإنسان شكلاً مشوهاً ممسوخاً ، مع الأنات وآلام الذين تكسرت بعض أيديهم أو أرجلهم فى صورة عبثية لا يمكن تصورها ولا حتى فى معسكرات النازى .

ودخلنا إلى حجرات العنبر كما كنا وأغلق بابها وبكل حجرة ١٥ معتقلاً عراة مضروبين متورمين مغموسين باللون الأحمر ورءوس مشوهة .

وبدأ ينظر كل منا للآخر وهو لا يتبين ملامحه ويكاد لا يكتشف معرفته ..

ـ أنت مين ؟؟ .. أنا مين ؟؟ ..

وتكوم كل منا يستعيد أنفاسه ، ويتحسس جسده ، يبحث عما بقى منه سليماً او موجوعاً .

وفجأة قال الكاتب **شوقى عبد الحكيم** ، وكأنه خرج تواً من خيالاته والصورة العبثية التى نحن فيها وهو معنا ، وقال كلمة بذيئة فى وصف الحكومة أثارت الضحك المكتوم فى نفوسنا بددت وحشة الصمت والألم والنزف الإنسانى بعودة الابتسامة والأمل من خلال الظلام الدامس الذى عشناه فى هذه التجربة المريرة . وبدأ كل منا يكشف عما يوجد باللفة التى استلمها ليجد بها قميصاً وسروالاً من قماش الدمور اليدوى الخشن وبلا ملابس داخلية ومعها شبه بلوفر من الخيش

(وردرويه) للشتاء .. وكانت المقاسات إما كبيرة أو صغيرة ، وكل واحد وحظه .وتبادل الزملاء المقاسات حتى تتلاءم مع أجسادهم ولبسناها ليصبح كل منا فى صورة لا معقولة مع الحلاقة الزيرو بالرأس .

وجاء الليل .. ولأول مرة فى حياة الإنسان يحس المرء فى الليل ببعض الطمأنينة والسكينة من عذاب الامتهان وأن مع غلق أبواب العنبر بعض الهدوء وأن تباشير الصباح .. الصباح فى كل الدنيا علامة يوم جديد ، علامة ضوء وآمال وحياة . أما داخل المعتقل وفى مثل هذه الأحوال ، فهو علامة ليوم جديد من المعاناة والسب والقذف والضرب ، وصباح برنامج جديد لانتهاك جديد وتواصل بين الأمس وأول أمس واليوم . **ألا ليت لا يشرق الصباح** ولتتوقف عجلة الزمن قليلاً أو حتى تبطئ فى دورانها ليتم التقاط الأنفاس وتخف الآلام عن هذا الجسد المثخن بالجراح .. ولكن !!

صـــورة مهرجان يوم آخـر ؟؟!!

فى السابعة صباحاً ، فتحت الأبواب،انطلقت الحناجر المسعورة والأحذية الثقيلة تجرى هنا وهناك وكعوب الحراسة تدك الأرض .. اخرج .. اخرج .. اخرج، شتائم وبذاءات وعصى وشوم لنخرج إلى خارج العنبر وفى فناء معد بالماء على الأرض وكسر الأحجار وحبيبات صلدة كأنها رءوس مسامير تدخل فى الأقدام الحافية بعد أن نزعت عنها الأحذية ، ولم تكن الأرجل قد تدربت بعد على الحفاء والإذلال ، وصدرت التعليمات بالجلوس القرفصاء صفوفاً والرأس منكساً والعيون فى الأرض والبرد شديداً لأن الأجساد شبه عارية وملابس السجن الجديدة على اللحم لا تصلح للدفء أو تمنع اختراق هذا البرد اللعين .

وتمضى ساعة من الزمن على هذا الوضع المأسوى ويدوى بروجى حضور البطل الهمام المغوار فى معركة غير متكافئة ، ويقف شامخاً وحوله حرسه الخاص وقائد المعتقل والضابط المنوط به الحراسة فى هذا اليوم وهو النقيب **عبد العال سلومة** وتنتفخ أوداج البطل الأجوف ويصدر تعليماته .. إننا سوف نتوجه إلى الجبل للعمل ومن يفكر فى الاحتجاج أو يحاول الهرب فى هذه الصحراء فإن لدينا أوامر بإطلاق الرصاص عليه فوراً ، وشتائم وبذاءات ومن خلفه نسمع أصوات السلاح والبنادق تتأهب إلى الانطلاق تثبت وجودها وتؤكد ما قاله هذا المتعجرف .

وأصدر (همت) أوامره بالتحرك فى انتظام كطابور العبيد إلى العمل حفاة .. عراة .. منكسى الرءوس . وعند الباب الخارجى لسجن الواحات ، أصدر همت أوامره لمأمور السجن بالتوقيع على خروج المعتقلين من الباب الرئيسى كإجراء روتينى ، وقام المأمور بإصدار الأمر للضابط عبد العال سلومه بالتوقيع فى دفتر الأحوال .. وكانت المفاجأة برفض الضابط التوقيع على ذلك .. وهنا بدأ القلق الفعلى فى عقولنا .

هل هذا الطريق سيؤدى إلى مجزرة بشرية أخافت الضابط من التوقيع .. أو ماذا يراد بنا ؟؟

وسمعنا تمتمة الضابط بأنه لن يكرر ما حدث منه سابقاً فى عام ١٩٥٦ عندما كان زكريا محيى الدين وزيراً للداخلية ، وأصدر أمراً شفوياً بالاعتداء على أعضاء جماعة الإخوان المسلمين فى أوردى ليمان أبو زعبل وفى هذا الاعتداء قتل بعضهم إلى جانب تكسير عظام العديد منهم ، وكان قائد هذه المعركة الضابط عبد العال سلومة وعندما بدأ التحقيق فى هذه المجزرة . تنصل كل مسئول عنها وتم توقيع الجزاء على هذا الضابط لأنه لا يحمل أمراً كتابياً بالتنفيذ .. وتم نقله إلى الصعيد ، وكان درساً له بأن النظام قد يستغنى عن معاونيه بعد أن يمتهنهم وأنه لن يكرر هذا الخطأ.

وطلب همت من المأمور التوقيع بدلاً منه ، ووقع .. وانطلق طابور العبيد فى انتظام مع ضربات من هنا وهناك حتى وصلنا بعد حوالى ساعة من السير المنهك إلى المنطقة التى اختارها اللواء همت وتوقف الطابور ، وتسلق همت ربوة عالية من الجبل شامخاً منتفخاً . وقال :

– هنا سنبدأ العمل ، سننقل هذا الجبل إلى منطقة أخرى . يقسم المعتقلون إلى مجموعات كل منها عشرة أفراد خمسة للحفر وخمسة لنقل الرمال جرياً .

ووزعت علينا أدوات التعذيب فأس وغلق أو مقطف من الكاوتشوك ، وطبعاً أكد مرة ثانية أنه مكلف من الإدارة العليا بإطلاق النار فوراً على كل من يفكر .. مجرد تفكير فى الهروب أو الاحتجاج .

وبدأ العمل .. اضرب .. اضرب .. اجرى .. اجرى . ولفترة طالت وحتى يتشبع اللواء همت ويتلذذ بتحقيق رغباته السادية ، ونزل من فوق الجبل يحمل رايات نصره من السجانة والبنادق والحراسة حوله إلى سيارته ، ويتبوأ قائد المعتقل فريد شنيشن قيادة المأساة حتى نهاية اليوم فى الرابعة مساء . وتم تشوين معدات التعذيب فى مكان استعدادا ليوم آخر مع جردل مياه للشرب .

وتم رصنا فى صفوف منهكة لنعود إلى العنابر والزنازين سيراً على الأقدام الدامية والأجساد المحطمة كملهاة سوداء من العصور النازية . وكان ما يؤلم النفس فى هذه الرحلة التعيسة أن تضم مع الزملاء ، زميلاً عجوزاً ضريراً هو **(عم زكى عثمان)**

فحركته فى ظلام لا يتبين طريقه إلا عن طريق عصا أو شومة توجهه الى الأتجاه المطلوب تنفيذه .

وكأن الإنسانية قد تلاشت تماماً عن وحوش الصحراء .. لا رحمة ولا شفقة .

وبعد العد والتمام لم يهرب أحد ، وبالتالى لم يقتل أحد وأن الأجساد أصبحت (نمرة أو رقماً) .

وإلى الحجرات والعنبر ، وفى المساء وزعت الجراية ٣ أرغفة مع شىء فى (قروانة) يسمى طعام .. والتهم الزملاء الأرغفة الثلاثة المقررة مرة واحدة من الجوع مع هذه المواد السوداء ، هل هى خضروات ؟ أو شىء آخر لم تعرفه البشرية من قبل. المهم كان ملء جزء من المعدة التى بدأت تئن وتتوجع وليكن ما يكون فى الغد .

وكان لابد من فك سلسلة هذه المتاعب وإزالة ولو جزء من هذه الكآبة.. وبوعى وإصرار بدأ كل الزملاء أو البعض منهم يحكى عن فيلم سينمائى أو مسرحية ما يكون قد شاهدها فى حياته .. وحتى لا يدب اليأس فى النفوس ، وكانت ليلة تساقط البعض فيها فى نوم عميق .

صـــورة ذكـــري ٢٣ يوليـو .. علقـــة

اختلفت الآراء ولكل وجهة نظره الخاصة أو التنظيمية حسب رأى التنظيم السياسى الذى يتبعه .. هل هى حقاً ثورة .. أم انقلاب عسكرى .. أم سيطرة طبقة جديدة على نظام الحكم ، وقيام كبار الضباط باحتلال كافة المواقع والشركات والبنوك وكل مرافق الدولة ، بحجة أهل الثقة قبل أهل الخبرة ؟

وكاد شعار ثورة الحرية والديمقراطية يتبخر تماماً أمام ما كان يحدث فى السجون والمعتقلات من إبادة حقيقية عن طريق الضرب والقتل مع الجوع والعرى والمهانة كل دقيقة وطوال اليوم ولعدة سنوات . نعم فى الأسبوع الأول من الثورة تم طرد الملك فاروق لتغيير نظام الحكم ، ولكن لم يتم إشراك الشعب فى أى تحولات بعد ذلك .

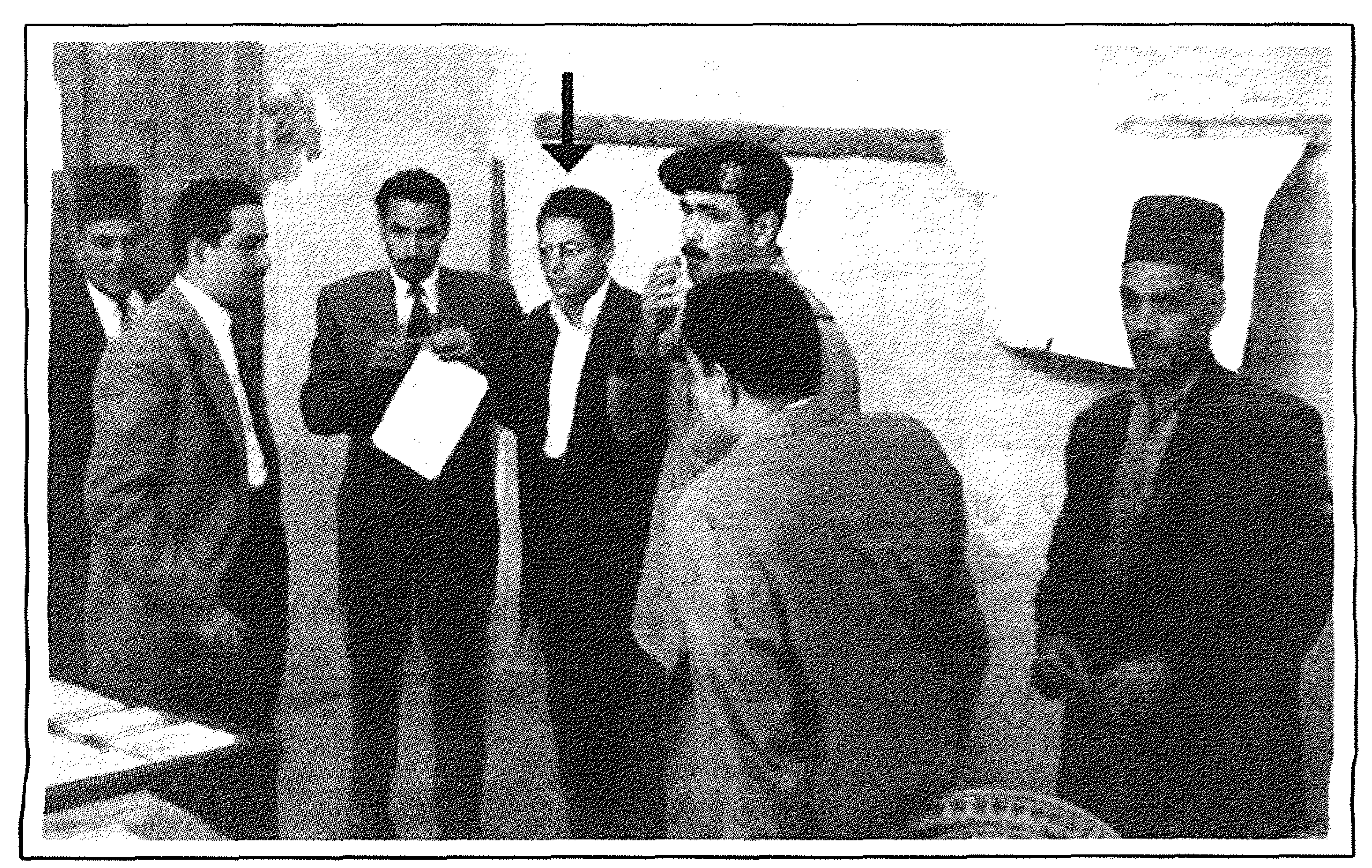
كان ٢٣ يوليو ١٩٦٠ فى معتقل الواحات له طعم ومذاق آخر .. أغلقت عنابر المعتقل والحجرات على من بها وعندما حل المساء وفى حجرة ٤ بعنبر ١ بدأ الزملاء يستندون بظهورهم على الحائط من فوق الأبراش (مشاية من ليف خشن للنوم) .. واليوم ذكرى الثورة ماذا سيفعل الرفاق .. وبدأت بعض لقيمات الخبز المخبأة من طعام الغداء تظهر ليقتسم كل زميل لقمته مع آخر .

وبدأ النقاش بين ١٥ زميلاً بالحجرة للقضاء على قلق الليل .. ولانتظار ما سيحدث فى النهار من زبانية الجحيم .. هى ثورية .. أو فاشية .. مناقشات .. مناقشات ، وهجم علينا الشاعر العظيم فؤاد حداد بقصيدته والذى كانت كل قصائده شفاهة حيث لا ورق ولا قلم والويل لمن كان يضبط معه مثل هذه المحرمات .

بل كانت تدون أحياناً بمسمار يحفر الكلمات على سفل الحوائط الداكنة حتى لا يكتشفها الزبانية .



مواجهة بينى ،بين رئيس المباحث العامة بالفيوم عبد العزيز شاكر فى معركة ١٩٥٦ وبجانبى اللواء كمال ذو الفقار قائد جيش التحرير الوطنى .



(فؤاد حداد هو أستاذ الشاعر صلاح جاهين .. هكذا أخبرنا صلاح بنفسه أثناء ندوة شعرية قمت بتنظيمها بمقر الجامعة الشعبية بالفيوم أثناء معركة ١٩٥٦ . وأن بيرم التونسى هو أستاذ فؤاد حداد" وكانت الندوات الشعرية والعلمية بمحافظة الفيوم تأخذ اتجاهاً ثورياً من المناضل **محمد سيد أحمد** الذى كان يحضر مع المحاضرين من القاهرة للفيوم ويعيدهم بسيارته تطوعاً .. وبعدها من الشاعر الكبير كمال عبد الحليم وعالم الطبيعة **دكتور حسين كمال الدين**) .

وقد حاولت أن أنشد بداية قصيدة لى بدأت فى كتابتها ولم أتبين فى الظلام غير جزء من الشطرة الأولى ولقد قلت فيها :

الريح بتعزف على سطح الجبل

وأنا بأنشد وأغنى على القضبان

ردد معايا الصدى صوت الأمل

.. إختفت بقية القصيدة

وألقى فؤاد حداد قصيدته الشفهية كما قلت ليحول الصمت إلى حركة :

مش عايز الفجر يطلع — مش عايزه يطلع يا عالم

ده كل ما الفجر يطلع — أنا أنا البنى آدم

بيضربونى فى أبويا — وبيضربونى فى أمى

مطرح ما باسنى أبويا — ومطرح ما باستنى أمى

والضرب زى الشتيمة — على حشاكى الأليمة

كان ليه تشيلينى فى حشاكى — وتضرعينى عشاكى

كان ليه بتندهيلى باسمى — ويندهولى بنمرة

مكتوب فوق الطاقية — البرش والبطانية

كان ليه يا أمى بنقرأ — كان ليه أروح المدارس وأتعلم الأبجدية

كان ليه الكتب والفهارس — والامتحان والعيدية

كان ليه يا أمى أمارس — مبدأ من الإنسانية

قولـــى لأبويـا اللـى غارس	أكتـر مـــن العلـــم فـــىّ
عـبد اللطيف رشـدى وارث	ابنـك فى جملـــة عـبيـــده
عبـد اللطيف رشدى سيـــده	عبد اللطيف رشـــدى فارس
راكب حصــان الحكومـــة	راســم على وشـــه بومـــة
تمشـــــى وراه الكـــوارث	وتمشـــى قدامـــه شومـــة
حلفــتْ بالشـــومة ديـــة	ويـــدم شـــهدى عطيـــة
حلفـــتْ بالـــدم يجـــرى	علـــى (حنـــان) الصبيـــة
أنــا طــالب دم ســـفاحـــى	أنـــا دمـــه صباحـــــى
علناً مشـــهور على سلاحـــى	حرمـــاً والمـــلك يسبـــح
ياراســـم للـجبـل صـــوره	أنـــا قاعـــد عينـى مكســـوره
فيـه شـــرخ فــى قلبــى	والـصـــــــــــــــورة
كـــان ليـــه يا حكومـــة	جعلـتى على الجبـــل شومـــة
كـان منـا المـــودة وليـــه	ومنـــك الخصـــــومـــة

(تصفيق هادئ بدون صوت)

وفجأة سمعنا ضجيجاً خارج العنبر ويبدو أن بعض أصوات من بقية الحجرات كانت عالية بعض الشيء لأن الزملاء كما اتضح من **تنظيم حدتو** الموالى لخط الحكومة دائماً.. يعلو صوتهم ببعض الأناشيد ، وتبين أصوات الحرس حول العنابر – اسكت يا ابن الكلب أنت وهو .

ومرت دقائق قليلة وإذ بأبواب الحجرات تفتح بعنف وتعلو أصوات طاخ طيخ..شوم .. وأحزمة .. وجريد النخل الأخضر فى هجمة تتارية سبق تكرارها كثيراً على أى جسد وأى مكان وأى جزء من البشر ساكنى الحجرات.

ووسط خضم هذه الهجمة لاحظت أن جارى فى البرش يحاول أن يتكوم حولى ويحتضن رأسى خوفاً عليها بين صدره ويتعرض هو لضربات الشوم .. وانتهت العلقة .. لأتبين هذا الصديق فوجدته جارى **الدكتور شكرى عازر** يقول

لى : زى بعضه بقى كنت خايف عليك تموت لأنك مريض وأخذت العلقة بدلاً منك .. وابتسم ، ودمعت عيناى وقلبى لهذه التضحية .

وقلت له بصوت هامس بعد أن تنبهنا إلى آدميتنا الموجودة :ـ ايه رأيك يا دكتور شكرى يا ابن عم عازر سوف أفعل شيئاً أتحدى به الحكومة ولن تكتشفه أبداً ..

رد : يا مجنون عشان أنت عايش النهارده ..والفضل طبعاً لى .. عاوز تاخد موقف ثورى .. قلت طبعاً ثورى جدا .. لن يلحظه زبانية جهنم .. **وقلت فى سخرية بمناسبة هذه الذكرى العظيمة سأربى (شنبى) ابتداء من اليوم** . وقد كان .. وابتسم الزملاء الذين سمعونى وأنا أعلن هذا الموقف الشجاع (تربية شنب بمناسبة عيد الثورة) ولازمنى الشنب كراية أوعلم على وجهى حتى الآن أتذكر به ذكرى ثورة يوليو١٩٦٠ .

– منذ أكثر من عشر سنوات كانت القناة الثالثة بالتليفزيون المصرى تقدم بمعرفة مذيع واعد لامع مثقف بعض البرامج الجريئة سياسياً واستبعد هذا المذيع بعد فترة وللأسف الشديد لا أتذكر اسمه وهذا خطأ منى..

وكانت الندوة عن فؤاد حداد وأشعاره وحضرها ابن فؤاد حداد وأصدقاؤه وأمكننى المشاركة تليفونياً وعلى الهواء مباشرةً ببعض الذكريات عن فؤاد حداد الراحل والشاعر العظيم وسردت بعض طرائفه بعد كل معاناة يومية .. وأهبت بابنه وكل المشاهدين ممن عاصروا وعاشوا مع فؤاد حداد فى المحنة وحفظوا أشعاره الشفهية لأن أشعاره فى السجن كانت تعتمد على الذاكرة ، فقط أن يحاولوا تذكرها لإرسالها إلى ابنه حتى لا تختفى من ذاكرة هذا الرعيل من البشر . لتجمع إما للنشر أو للتاريخ .. ولا أدرى إذا كان قد تم ذلك أو لا فتكون خسارة فادحة .

صورة هل أنا حى ؟!

طابور العمل لا يتوقف وتزداد قسوته وكانت الإرادة والرغبة فى الحياة هى الاستمرار فى المقاومة النفسية والعقلية ضد كل ما يحدث فى صحراء الواحات الخارجة والشعور الداخلى التلقائى فى الرغبة تقوى مناعة الإنسان ضد الانهيار وضد المرض وتأكيداً لذلك أنه بعد أن توقفت فترة التعذيب والإذلال وبدأت الأمور تهدأ نسبياً ، أن الأمراض بدأت تطفو على السطح وظهرت حالات مرضية كثيرة كانت مكبوتة بالمقاومة ورغبة البقاء .

وفى يوم قارس وفى تمام الساعة السابعة صباحاً بحوش السجن ونتراص جميعاً فى صفوف على حصى أرض مغمورة بندى الشتاء وأرجل حافية وأجساد عارية وجدت نفسى أسرح مع خيالى إلى خارج السجن إلى زوجتى وأبنائى الثلاثة . والأم والأخت والعائلة والمنزل والحى والمدينة .. وأحسست بغصة تدمى قلبى وكأنها قبضة حديدية موحشة تضغط على شرايين الفكر والقلب ، فالحنين أوجاعه تماماً كأوجاع الجسد بل وأشرس منه .

وتنبهت إلى صوت الصول .. انتباه .. فرجعت بفكرى وعقلى إلى مكانى وأحسست بعدها أن آلام الجسد قد تهون عن آلام الفراق والشوق .

ما علينا .. وانتقلنا إلى الجبل للعمل ، وبدأ المناخ القارى وقيظ حرارة الصحراء والعطش ، وكانت الحالة متوترة تماماً ربما لحضور ضابط عظيم فى أعمال السخرة .. بدأ الجرى والركض مع الحفر ونقل الرمال من مكان خرافى إلى آخر وهمى ..

واشتد الجرى والإهانة والشوم .. ولم أدر إلا بسقوطى فى الجبل أثناء العمل .ولم أتنبه إلا وأنا فى حجرة عيادة المعتقلين بالعنبر وحولى الزملاء وبعض

الإسعافات الأولية وعدتُ إلى وعيى لأجد بجانبى الزميل الانسان **الدكتور حمزة البسيونى** ابن الاسكندرية البار يحاول تدليك عضلة قلبى مع بعض المياه ..

ثم كوب شاى مهرب إلى أن أفقتُ من غيبوبة الإرهاق والتوتر لأستقر بالعيادة حتى نهاية اليوم .

ويبدو أن هناك من موظفى إدارة السجن من كان على علاقة بتسريب أخبار المعتقل والسجن إلى الخارج لأنه قد تبين فى فترة من الفترات أن الأخبار تذاع فى بعض الإذاعات العالمية منها العراق ووارسو وغيرها.. .

ولقد هوجمت إذاعة وارسو هجوماً عنيفاً فى مانشيت رئيسى بجريدة الأهرام ـ ماذا يريد راديو وارسو ؟! . كما علمتُ بذلك بعد فترة ..

فلقد أذاع راديو وارسو اسمى ضمن الذين قتلوا بالصحراء أثناء العمل وأذاع خبر وفاتى خارج السجن حتى وصل إلى زوجتى السيدة العظيمة ببلدتنا بمدينة الفيوم . فكتبت شكوى موقعة باسم أكبر أبنائى جهاد خمس سنوات وقتذاك ، رسالة مملوءة بألم الطفل نحو شوقه لرؤية والده .

وأرسلت الرسالة شخصياً إلى السيدة حرم رئيس الجمهورية .

وبعد فترة (كما علمتُ بعد خروجى) وصل إلى منزل الأسرة صول من بندر الفيوم لاستدعاء صاحب الشكوى وكانت السخرية بأن صاحب الشكوى طفل صغير .. وصحبته أمه إلى مكتب مأمور البندر ليخطرها بالرد .. وهو .. لم يستدل على عنوان المعتقل المذكور وطلب توقيعها بالعلم !!

ويبدو أن هذا أثار بعض المياه الراكدة بطلب توقيع الكشف الطبى على صحتى .

وهل أنا عايش أم لا ؟ ؟

واستدعيت للعيادة الرسمية بالسجن لأرى السيد طبيب السجن وهو لا يختلف كثيراً عن بعض السجانين غلاظ القلب .. وطلب وزنى الذى وصل إلى ٤٠

كيلوجراماً فقط بالتمام والكمال وعندما عاد إلى سجل النزلاء لحظة حضورى والذى يثبت فيه وزن كل منا .. للمحافظة على صحتنا خوف زيادة أو نقص الوزن وجد أمام خانة اسمى أن وزنى كان ٦٠ كيلو أى بانخفاض ٢٠ كيلو فى فترة محدودة .

واحتار النطاسى البارع ماذا يصرف لى من علاج حيث لا علاج لديه غير الشاش والميكروكروم لزوم الجروح والإصابات أو بعض أقراص الأسبرين .وتفتق ذهن الطبيب الرسمى .. عن روشته عجيبة تصرف من المخبز وليس من الصيدلية .. **(يصرف للمعتقل رغيف واحد لمدة أسبوع)**

وخلال الأسبوع كنا نسعد بهذا الرغيف فهو ثروة رائعة أشاع البهجة فى الغرفة التى تحوى حوالى ١٥ زميلاً كنت أوزع لقمة صغيرة وبمقياس محدد للزميل الذى يرغب وكان من نصيب الزميل الدكتور شكرى عازر والدكتور محمود القويسنى (رحمه الله) نصيب أكبر قليلاً لأننا نفترش البرش سوياً ونتسامر ليلاً أثناء القلق .

صــــورة طرائف أم عجائب أم غرائب ؟؟!!

فى كل دول العالم المتحضر.. أو حتى غير المتحضر .. عندما يقدم مواطن ما للمحاكمة سواء محاكمة جنائية أو سياسية تنص القوانين والدساتير إلى جانب قوانين حقوق الإنسان بأن يكون لكل متهم محام يقف بجانبه ويدافع عنه ويشد أزره ، حتى ولو كان هذا الدفاع صورياً أو شكلياً مثلما حدث فى محاكمة البطلين خميس والبقرى العاملين بكفر الدوار وأمام مجلس عسكرى مخصوص ومرتب وحكم عليهما بالإعدام ونفذ الحكم فوراً بلا استئناف أو معارضة .. مجلس عسكرى بقى .

وقتذاك استشعرت المحكمة الإحراج من الحكم على المتهمين ، فطلبت أن يكون هناك محام للدفاع عنهما قبل النطق بالحكم لتكتمل الصورة أو المسرحية السوداء وحدث الرعب بين المحامين الذين كانوا بالمحكمة وفزعوا من التقدم للدفاع عن البطلين .. فأمرت المحكمة أن يتم اختيار ممثل للدفاع عن المتهمين ، من الحاضرين بالجلسة وأشارت إلى الأستاذ موسى صبرى الصحفى وسألته عن مؤهله وعندما قال ليسانس حقوق وبذلك يكون أهلاً للدفاع وكلفوه فعلاً بذلك فى القضية وأسقط فى يده.. وطلب مهلة قصيرة للاطلاع على ملف القضية ، وفى اليوم التالى كان دفاعه عن الرأفة والرحمة فقط دون التدخل فى الموضوع نفسه .

وحكمت المحكمة بعد أن اطمأن ضميرها أن هناك محكمة ومتهماً ودفاعاً بالحكم بالإعدام . أى أن شكليات الدفاع لا توقف النطق بالحكم المعد سلفاً .

ولكن ! عندما يكون الدفاع ذا رأى كما حدث فى قضية الإسكندرية عندما كان محامى أحد المتهمين أو من اتهمتهم النيابة فى القضية ، محامياً يؤمن بالقضاء الواقف ويتقدم بالدفاع .. فماذا كان مصيره ؟؟ لأنه يخرج عن خط الحاكم

فى تخطيط طريقة المحاكمة وسيناريو الأحداث التى تنتهى بالحكم المعد سلفاً .

وكانت المهزلة فى محاكمة قضية الإسكندرية عندما دافع المحامى عن أحد المتهمين وصال وجال المحامى فى مستندات القضية وفند وقائعها وتفاصيل أحداثها ومضبوطاتها من كتب أو مجلات تباع لدى المكتبات وبائعى الصحف ، وبين التلفيق فى القضية ..إلخ وبعد أن انتهى المحامى (**الأستاذ / أحمد البدينى**) من عمله بالمحكمة .. وتوجه إلى باب الخروج ، وجد نفسه يوضع عنوة فى سيارة شرطة مع الحراسة المشددة . وإلى أين ؟ إلى معتقل القلعة ليجبر على مسح بلاط زنزانته (بالخيشة) ثم إلى الواحات .

وحضر إلينا فى معتقل الواحات لأنه دافع عن العدالة .. وأى عدالة فى هذا الزمان ! وهذا النظام ! وكأنها كوميديا سوداء فعلا .

ولم يكن ما حدث غريباً على النظام فلقد سبقته أضحوكة أخرى وهى قصة يجب أن يتذكرها التاريخ ولا تنساها الأجيال .. وهى قصة المناضل **مصطفى طيبة** ولقد سبق أن تم تسجيل هذه القصة فى أكثر من عمل وثائقى سياسى.. ولكن لا بد من تكرار ذكرها للتاريخ .

الزميل /**مصطفى طيبة** ، تم القبض عليه قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بأسبوع تقريباً وفى عهد الملك فاروق وبتهمة إدارة تنظيم للحزب الشيوعى المصرى والعمل على قلب نظام الحكم بالقوة ...إلخ وكان من المفروض أن الثورة أنهت العهد الملكى بطرد الملك فاروق من مصر ، وبذلك تلغى التهمة محل القضية المذكورة لأن رجال الثورة قاموا فعلاً (بعدل) نظام الحكم بدلاً من قلبه . ولكنه استمر فى سجنه لنظر قضيته وللاستمرار فى سريانها ..

وصدر قرار خاص بأن من لم يفرج عنه عليه أن يقدم تظلماً بذلك ، وتشكلت محكمة خاصة وبعد عدة جلسات رفضت هذه المحكمة الإفراج عن مصطفى طيبة وزملائه فى القضية ووضحت فى حيثيات الحكم الذى صدر منها أن الشيوعيين ليسوا سياسيين وإنما هم اقتصاديون !! وأنهم يصبحون سياسيين فى حالة واحدة

فقط هى حالة استيلائهم على الحكم !! وصدر قرار الاتهام وينص فى صلبه على قلب نظام الحكم وأمام مجلس عسكرى (أعضاؤه عسكريون)، وهو متهم مدنى !! وكانت المحكمة برئاسة القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن ونائب أحكام عسكرى وبإجراءات مجلس عسكرى .

وكانت هذه تقريباً أول قضية شيوعية يشكل لها مجلس عسكرى خاص ، وهو ما يوضح سوء النية للتعامل مع اليسار عموماً .. وكان التساؤل والوضع السياسى قد تغير من النظام الملكى إلى النظام الثورى وهل المحاكمة تكون بقانون صدقى باشا الذى اقصى عقوبة فيه هى ١٠ سنوات أشغالاً شاقة أو بقانون محاكم الثورة والذى تصل أحكامه إلى الإعدام .

ووضح الغموض والتخبط وكان السؤال بأى قانون ستتم المحاكمة وأين تتم ؟ هل فى قاعات المحاكم الجنائية أو أحد معسكرات الجيش لإصدار الأحكام وتنفيذها فوراً ، ولو كان الإعدام رمياً بالرصاص رغم أنهم مدنيون ؟!

ولم يحدد مكان المحكمة الا فى نفس يوم المحاكمة عندما توجهت القوة والحراسة والمتهمون الى محكمة الاستئناف بباب الخلق ، وأدى هذا إلى بعض التفاؤل وأن المحاكمة لن تكون عسكرية .. وكانت ثقة هيئة الدفاع فى البراءة كبيرة وممكنة ، لأن التهمة التى وجهت للزميل **مصطفى طيبة** كانت قلب نظام الحكم الملكى ، وهاهم رجال الثورة قد قلبوه فعلاً .. وبالعقل والمنطق إذا وجد إما أن يخرج المتهم براءة .. أو أن يحاكم ضباط الثورة بالسجن لهذا (القلب) ، وأثناء عملية المحاكمة التى توقفت أياماً قليلة حدث شىء عجيب لم يحدث فى تاريخ القضاء ولا فى تاريخ أى دولة متحضرة فى العالم .

إذ لخلاف بين النظام وتضارب الاراء والصراع بين رجال السلطة حددت الجلسة برئاسة القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن رئيساً للمحكمة وضابطين برتبة صاغ معهم الضابط حسن سرى نائب الأحكام والمدعى على نور الدين .

واستمرت المحاكمة مدة شهرين جلسات صباحية ومسائية وقبل أن تصل إجراءات المحاكمة إلى نهايتها بأيام ، تم القبض على رئيس المحكمة القائمقام أحمد شوقى عبد الرحمن وتم القبض على محامى المتهم الأستاذ **سليمان غنام** !

وأعتقد أنه لا سابقة تاريخية لمثل هذا الحدث ، أن يقبض على رئيس المحكمة

والمحامى .. والمتهم !! وإلى السجن مصيرهم جميعاً ، وتوقفت المحاكمة قليلاً إلى أن يتم تشكيل هيئة محكمة أخرى تنفذ ما يطلب منها ، وفى أكتوبر ١٩٥٤ تشكلت هيئة المحكمة برئاسة اللواء الدجوى .. وهو- لمن لم تسعفه الذاكرة -كان حاكم غزة أثناء نكسة ١٩٦٧ وقام بتسليم قطاع غزة للإسرائيليين مستسلماً ووقع على الهواء مباشرة مراسم التسليم ، فيا حسرتاه .

وفى شهر يناير ١٩٥٤ أعلنت الأحكام بالسجن على مصطفى طيبة عشر سنوات مع الأشغال الشاقة بتهمة قلب نظام الحكم الملكى وهى التهمة التى قبض عليه من أجلها فى عهد الملك فاروق قبل الثورة .

وأمضى مصطفى طيبة مدة حكمه بالتمام والكمال وبدلاً من أن يفرج عنه بعد انتهاء فترة العقوبة .. انتقل بقوة قرار الاعتقالات التى يصدرها النظام من سجين إلى معتقل .. والفرق كبير .. صحيح أنه قد استبدل ملابس السجن من اللون الأزرق إلى ملابس المعتقل باللون الأبيض ، وخسر كل المكاسب التى كان يتمتع بها السجين ، لا زيارات ، لا خطابات ، لا طرود ، لا تعامل مع الكانتين إلا فى حدود مبلغ خمسين قرشاً فى الشهر.

صـــــورة　　ولمـــاذا كل هـــذا !!؟

كان الأمر مع الشيوعيين مختلفاً ، فلم يكن الشيوعيون قوة متآمرة على الثورة ، والأكثر من ذلك أنها كانت قوة لا يوجد تناقض بينها وبين الثورة ، فقد أيدوا الإجراءات التى أحدثتها الثورة ، وكان الحزب الشيوعى المصرى قد اجتمعت سكرتاريته المركزية يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ (أى قبل يوم الإعصار بأسبوع) .

ووضعت خطاً سياسياً للحزب يقوم على أن الثورة هى ثورة وطنية ضد الاستعمار وأنها لم تنته بعد ، إذ عليها أن تستكمل استقلال البلاد الاقتصادى وأن البرجوازية الوطنية لها جانبها الوطنى ولكن لها جوانبها الأخرى التى على القوى الشيوعية تبصيرها بها .

- ولم يتنبه الشيوعيون وقتذاك إلى الهوية الفاشية للثورة ، وهى هوية تكره الشيوعيين أكثر مما تكره الاستعمار . وهو ما عبر عنه عبد الناصر يوم ٢٣ ديسمبر ١٩٥٨ فى بورسعيد ، عندما شن على الشيوعيين الذين كانوا يدافعون عن بورسعيد قبل عامين أثناء العدوان الثلاثى - أبشع حملة استعان فيها بكل التهم الباطلة والنعوت التى لم يسبق أن صدرت من قائد وطنى فى مصر ، ثم لحق به الكاتب محمد حسنين هيكل * الذى أعلن فى مقاله بالأهرام أنه يتوجب على الشيوعيين أن يغلقوا أفواههم ويضعوا عليها أقفالاً من حديد وإلا .. (وكانت بعد ذلك هذه ال..إلا)

وسرعان ما ضرب ضربته فى أول يناير ١٩٥٩ التى فاجأت الشيوعيين ، ففى اليوم السابق فقط كان الدكتور عبد العظيم أنيس يتوقع أن يسود العقل فى النهاية ، وأن الثورة سوف تدرك أنه لا مصلحة لأحد فى استمرار هذا الشقاق بين القوى الوطنية . ومن هنا عندما بدأت المحاكمة الكبرى للشيوعيين التى قدمت فيها الثورة ٦٤ معتقلاً إلى المحكمة العسكرية التى عقدت بالإسكندرية فى أكتوبر ١٩٥٩

لم يكن لدى الشيوعيين إدراك كامل بحقيقة العداء الذى كان يكنه عبد الناصر وكانوا يتصورون أنهم يستطيعون أن يحققوا عليه انتصاراً فى ساحة العدل ونسوا أن العدل كان آخر ما يشغل ذهن عبد الناصر ، فقد كان كل ما يملأ رأسه هو كرسى الحكم .

وتم فعلاً وبعذها بأسبوع واحد ما هدد به الأستاذ هيكل كل القوى الوطنية وبدلاً من غلق أفواههم فقط أغلقت عليهم أبواب الزنازين بالمعتقلات والسجون .

□ قصة عبد الناصر والشيوعيين الجزء الثانى ص ٦٨٥

د/ عبد العظيم رمضان

صـــورة الإنجـيل تحـت الحصــار

فترة طويلة مملة .. أن تحرم العين من إحدى وظائفها ، وظيفة القراءة ... حقيقة العين للرؤية لكل شيء وكل ما هو أمامها من أشكال وأجسام وصور مادامت العين مفتوحة بلا مرض أو ألم أو إصابة من لكمة أو بوكس أو شومة ، ورغم أن العين عليها حارس إلا أن هذا الحارس كان أحياناً يتخلى عن مسئوليته ويهرب بجلده فى مواقف كثيرة .

والعين عندما تفقد الإحساس بالحروف والكلمات المكتوبة ..أى القراءة وهى إحدى مهام الرؤية تكون الأمور من الصعب علاجها ... هل عندما تتوقف العين (أى عين) عن القراءة والكتابة قد تضمحل مسافة من شبكة العين وتنقرض لعدم استخدامها رغم أنها ترى الأشكال والصور عادية .. وإن الجزء الحساس الموجود بالعين والذى لا يعمل .. يصيبه الكسل والضمور كأى جزء من الجسم لا يستخدم . والقراءة والكتابة بالمعتقل من أولى المحرمات الكبرى .. فالقلم والورقة فى نظر نظام الحكم مع المعتقل جريمة لا تغتفر .. وإن كان عقاب ارتكاب الجريمة فى المجتمع المدنى يؤدى إلى المحاكمة والقانون والدفاع والقضاء ثم الحكم .. إلا أن جريمة الورقة والقلم .. العقاب فيها فورى وبلا تأخير فالعصى والشوم متوفرة والضرب على قفا من يشيل ومن يحتمل !!!

ونتيجة لذلك كان رد الفعل .. وكل فعل له رد فعل مساو له ، كما يقول العالم نيوتن كانت تخبئة هذين السلاحين بعيداً عن عيون الهكسوس أمراً واجباً وهاماً .. وفى مكانٍ ما وفى وقت آمن ، تحفر حفرة داخل الأرض صغيرة .. وعميقة وتحفظ بها أمثال مثل هذه الممنوعات القاتلة .. فتلف بأكياس النايلون وخيوط حولها وفوقها طبقة ردم بطريقة فنية مدروسة من حصى وزلط ورمل وحتى يظهرالسطح مستوياً تماماً بدون أى ملاحظة ولو بسيطة من عين الرقابة

والتجسس والتفحص والتلمس ..ورغم أن مساحة هذه الحفرة تكون صغيرة للغاية إلا أنها كانت تضم أمهات الكتب والأبحاث والمقالات وغيرها .. ولكن كلها مكتوبة على ورق (بفرة) وهى الورقة الصغيرة الناعمة التى كانت تلف بها السجاير ويحتوى دفتر البفرة على ١٠٠ ورقة بفرة يكفى دفتران منها لكتابة كتاب ٢٠٠ صفحة وكان هناك من يجيد الكتابة المنمنمة على هذا الورق وليلاً وعلى نور باهت وبقلم رصاص مدبب السن غالباً وتوضع الورقة على جسم صلب مسطح ، ويبدأ الناسخ العظيم ناسخ برديات مصر القديمة فى الكتابة بخط يقرأ واضح وحتى لمن فقد نظارته أو تحطمت .. تحفظ كل هذه الأوراق داخل الحفرة بعناية شديدة للرجوع إليها وقت الحاجة لها .

وطرأت فى ذهنى فكرة (ألمعية) وخوفاً على بعض شبكية عينى من الضمور لعدم القراءة لفترة طويلة .. لقد بحثت عن أى كتاب يقرأ مصرح به رسمياً .. ووجدت أنه المصحف الكريم فقط هو الموجود لدى بعض الزملاء .. وطبعاً توجد أعداد كثيرة لدى عنبر ٣ عنبر الإخوان المسلمين بالواحات واستعرت نسخة من أحد الزملاء وليس من عنبر ٣ لأنهم لا يتعاملون ولا يتكلمون إلا مع إخوانهم فقط .

وبدأت القراءة وبانتظام وانتهيت من قراءته أول مرة .. ولأن (الحبسة) تطول فقد بدأت القراءة مرة ثانية ..وجاءت الفكرة لماذا لا يوجد إنجيل بالسجن أوالمعتقل ؟؟.. ولماذا تكون القراءة المسموح بها فى المصحف الشريف وحده .. وذهبت إلى ضابط العنبر .

– نعم ماذا تريد؟

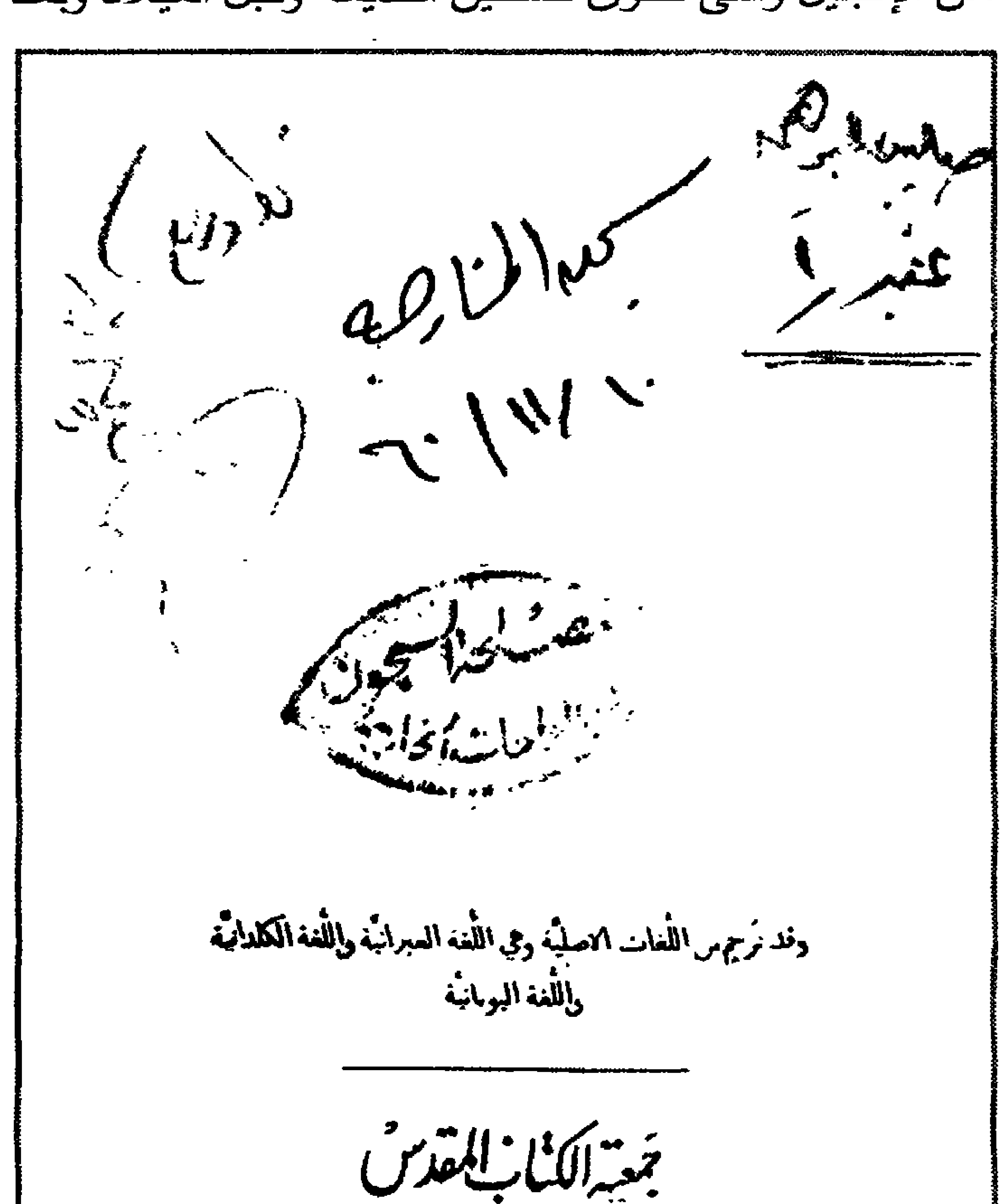
– أريد نسخة من الكتاب المقدس.. وصعق الضابط لأنه لم يسبق أن سمح لأى معتقل أن يطلب شيئاً .. أى شيء.. ولم يخطر على بال أحد من لواءات وأباطرة مصلحة السجون هذا الطلب. وبامتعاض شديد أعطانى ورقة وقلماً لأبين طلبى من أسرتى والاسم والعنوان للأسرة بالفيوم والمطلوب (إنجيل) واسمى ورقم العنبر وأبلغنى بضرورة موافقة مأمور المعتقل ثم يرفع الطلب للمباحث العامة بالقاهرة .. وبس ..

ومر زمن .. ونسيت الطلب وذات صباح مشمس دافئ أبلغت أن الطلب تمت الموافقة عليه .. وقلت فى سرى لذلك كان هذا الصباح مشمساً ودافئاً أى أن الطبيعة معى . وسلمنى الضابط المسئول .. الإنجيل وقمت بالتوقيع بالاستلام وجلست فى حجرتى مبهوراً . بهذا النصر تحقيق مطلب وهو شيء ليس بالحسبان .. وابتسمت عندما فتحت الغلاف وبه ختم السجن مصلحة السجون سجن الواحات الخارجة واسم المعتقل الذى هو (أنا) ورقم العنبر وعلى الجانب الآخر تأشيرة سجن الخارجة ١٠/١١/١٩٦٠ نظر وروجع إمضاء ..

وبدأت الابتسامة تتسع إلى ضحكات فقد وجدت بعض الخرائط الموجودة بالصفحات الأخيرة من الإنجيل والتى تحوى فلسطين القديمة وقبل الميلاد وبعد المسيح .. قد نزعت وغير موجودة بالكتاب .

طيب ليه ؟؟!!

وبدأت القراءة وحتى تعود العين إلى عملها الطبيعى بالقراءة فقط ودون الكتابة .



سجن الخارجة ١٠/١١/٦٠

عنبر ١

مصلحة السجون الواحات الخارجة

وقد ترجم من اللغات الاصلية وهي اللغة العبرانية واللغة الكلدانية واللغة اليونانية

جمعية الكتاب المقدس

صـــــورة طيارة يا أولاد الكلب !!

العمل فى جبل الواحات الخارجة وحول سجن المحاريق ، اسم على مسمى .. فكل شيء فى الصيف يحترق ، صحراء جرداء تحت أشعة الشمس الحارقة .. أرض الصحراء تشع صهداً والحوائط فى العنابر تحرق جلود الأجساد العجفاء من الجوع والإرهاق والمعاناة .. وفى الشتاء وبعد أن تغرب الشمس تتحول الحياة إلى ثلاجة وجو قارس تحت الصفر بمقياس المدينة والأرصاد الجوية ، والشتاء له معاناة فى شكل آخر ، فالشبابيك فتحات بالقضبان وأبواب الحجرات لها فتحة فى وسطها بأسياخ الحديد حتى تتيح للحراس النظر لكل ما هو بالداخل .. وكان فى المنطقة البحرية من العنبر تسد ببطانية مستغنى عنها .. ولا يوجد مثل هذا الترفيه للاستغناء عن بطانية ، ثم يأتى نهار بدء العمل فى الجبل ، فنرص صفوفاً فى فناء المعتقل والأرض تنشع مياهاً وبرودة والحصى الموجود عليها يتحول إلى مسامير مدببة تخترق جلود الأرجل الحافية .. وبعد التمام والذى منه يتوجه طابور السخرة إلى الجبل يتسلم كل منا فأساً ومقطفاً من الكاوتشوك وتقسم الفرق إلى مجموعات ١٠ أفراد من كل مجموعة ، وكل مجموعة لها مربع به تل صغير من الرمال والحجر .. والمطلوب نقل هذا التل من مكانه إلى مكان آخر وبس ..!! مهزلة إنسانية باستثناء زميل مريض أو طاعن فى السن أو ضرير .. يكلف بحمل جردل ماء وكوز صفيح لمن أراد الشرب .. والمياه تجلب من عيون تبعد عن موقع العمل بنحو نصف ساعة وبمساعدة حارس ضخم كالفيل . ويبدأ العمل فى التاسعة صباحاً وحتى الساعة الرابعة عصراً ليتم التمام ومراجعة أعداد المعتقلين ثم طابور العبيد فى العودة . والعمل فى الجبل يخضع للتعليمات والأهم حضرة الصول عنانى المشرف على العمل وعلى مزاجه الرايق أو المعكنن .

وكان يوم العمل يمر مثل كل الأيام عدا ما قد يحدث من مفاجآت .. كزيارة مسئول عظيم أو خطأ فى تعداد التمام .. أو ما شابه ذلك .

وفى هذا اليوم وكان كل شيء يسير فى هدوء والعمل يستمر بدون توتر وأحاديث الزملاء ومسامراتهم ومناقشاتهم تدور أثناء العمل . وفجأة دوت صفارة **حضرة الصول عنانى** انتباه اشتغل يا ابن القحبة .. اشتغلوا يا أولاد الكلب .. اجرى طاطى راسك فى الأرض .. تحرك بسرعة ، وصدرت تعليمات الصول للحرس بالضرب التترى فى كل مكان وعلى أى مكان مع الحفر والردم والجرى والركض لأسباب مجهولة ولا نعلم سببها المفاجئ ؟ وبعد حوالى نصف ساعة كان الإنهاك قد أخذ الكثير من الأجساد إذا بصفارة حضرة الصول تدوى مرة أخرى خلاص بطلوا جرى ياولاد الكلب (ولاد الكلب شعار وطنى) ونرجو أن يكون هذا الكلب الذى نحن أولاده .. كلباً بلدياً قحاً ـ وليس كلب خواجات .. كلب أجنبى حتى لا نتهم بالعماله الأجنبية أو السوفيتية بسببه .

وكانت المفاجأة ... كانت هناك طائرة فى السماء تطير وسمعنا صوتها بالطبع ، ولكن هذه الطائرة أثارت شكوك حضرة الصول .. وقال دى طيارة ممكن تراقبنا وتصور عملنا وإن سيادة اللواء مدير مصلحة السجون إسماعيل همت باشا يمكن أن يكون بها ليراقب العمل فى الصحراء بطائرة .. ليه .. لأ .

وابتسم الجميع لأن المراقبة قد أصبحت من السماء أيضاً وليس من أرض الصحراء فقط ..

صـــورة الرفيق الجويلي

الطبقة العاملة في العالم هي طليعة التقدم والتطوير والإنتاج بعرقهم وجهدهم ودمهم ..

وفي مصر- وبالتحديد في مصانع المحلة الكبرى وكفر الدوار ودمنهور- فإن عمال صناعة النسيج هم قوى ضاربة في تقدم المجتمع العمالي ، ورغم بساطة حياتهم وتواضعها حيث نشأوا من أسر فقيرة وشبه معدمة ومن أبناء الريف حول هذه المصانع ، لما كان له من شديد الأثر على وعيهم العمالي وارتباطهم الوثيق بمصدر لقمة العيش التي يتعيشون منها ، لذا كانت علاقاتهم بالآلة والماكينة والمصنع وزيادة الإنتاج وجودته شيئاً هاماً في حياتهم . وكان وعيهم السياسي وعياً فطرياً رغم ثقافتهم المحدودة ، ولذا كانت هذه الطبقة على علاقة بالتنظيمات السياسية والنقابية لمحاولة حفظ حقوقهم وعدم طغيان أصحاب وملاك ومديري المصانع خاصة في صناعة النسيج . وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو أرادت أن ترهب بقوتها وبطشها وجبروتها مختلف النظم السياسية والعمالية بالبلاد وبالأحزاب السياسية على اختلاف أنواعها بمصر ..

ثم اتجهت لتقليم أظافر رموز الإقطاع فأهانت (**عدلي لملوم**) في المنيا بشكل مقزز ليكون عبرة لغيره .

ثم اتجهت إلى العمال ، وعمال النسيج بالذات لأنهم أكبر من تضمنته صناعة واحدة .

وكان حادث إعدام **خميس والبقري** في كفر الدوار حادثاً مأساوياً يدل على بشاعة نظام الحكم وجبروته دون سبب عقلاني بصرف النظر عما قيل وقت ذاك أن هناك من لم يوافق على ارتكاب هذه الجريمة ، ومن هو موافق بإعدام

الناس ليس موضع مفاضلة بين تيار وآخر . فقد أعدم البطلان بشكل عاجل ومحاكمة سريعة حسابها عند التاريخ ، واتضح فعلاً أن هذا العمل الإرهابى هو بث الخوف والرعب فى كل من يخرج عن الخطوط الحمراء التى رسمها (البعض) فى أجهزة الدولة .

وكان الصديق والرفيق والزميل (**الجويلى**) عامل نسيج نشأ مع الحركات العمالية وعرف ما له وما عليه . فانضم إلى أحد التنظيمات اليسارية وكان كل ما يهمه هو المحافظة على الماكينة التى يعمل عليها وزيادة إنتاجه حتى يحقق إيراداً أكثر. وفى مطلع عام ١٩٥٩ عام نكسة الحريات وبداية عهد القتل والتعذيب والألم والجوع المنظم للقضاء على أخلص العناصر الوطنية وأقدرها على مشاركة النظام فى تحمل مسئولية المساندة بالقلم والكلمة والرأى المستنير وكان من ضمن المعتقلين الذين لم يحمل أحدهم سلاحاً ولم يغتل أحداً ولم يطلق رصاصة واحدة كما فعل الآخرون من الإخوان المسلمين ، ولأنهم أساساً لا يعرفون العنف .. كلام .. كلام ومناقشات يا زميل .

وكان الرفيق (**الجويلى**) عاملاً أراد التعلم حتى فى المعتقل ، وبدأت فى سكون الليل وبعد أن تغلق الأبواب فى تدريسه وتعليمه القراءة والكتابة .

وكنا نتجاور فى حجرة ٦ عنبر (١) التى تحوى ١٥ زميلاً ، كل منا ينام على (**برش**) مصنوع من الليف الخشن والحبال بعرض ٦٠ سم وطول ١٥٠ سم مع بطانيتين واحدة للفرش والأخرى للتغطية فى زمهرير الواحات الصحراوى .

ورغم أن الزميل الجويلى يحمل رأساً كبيراً بالنسبة لجسمه وأن فى وجهه ندبات وآثار مرض الجديرى الذى لم يعالج لضيق ذات اليد . إلا أن الابتسامة كانت تغطى وجهه دائماً .. وكان الجويلى متخصصاً فى صناعة قطع (الشطرنج) التى يصنعها لكل من يطلب منه من الزملاء ويتفنن فى تشكيله من عجين الخبز ولبابه وبعض قطرات الماء وتلوينها بالهباب الأسود الذى يصنعه مقابل سيجارة أو اثنتين على الأكثر (وهى العملة المتداولة فى جميع السجون والمعتقلات) .

كما أنه كان المتخصص الوحيد فى صناعة **التوتو** وهى علبة من الصفيح يتم تخريمها بطريقة معينة (وهى من علب السالمون الفارغة) ، وتوضع بها بعض أشرطة قماش مبلل ببعض الكيروسين الذى يتم الحصول عليه من ورش السجن وعندما تغلق الأبواب ويخلد الحراس للنوم يبدأ الجويلى فى توليع التوتو لعمل بعض أكواب الشاى أو تسخين طعام بارد ..

وكانت تلك خدمة عظيمة للزملاء كبار السن والمضروبين والمرضى . .

– جويلى .. نفسى أصحو من نومى صباحاً لا أرى وجهك الجميل !! إما أن تخرج إفراج من المعتقل أو أموت وأرحل للسماء بعيداً عنك .. يضحك ويقول أنا أخرج إفراج هذا مستحيل طبعاً .. وأنت ممكن تتوفى وتتكل على الله فهذا سهل جداً بيد أى شومة شاويش قادر أن يفعل ذلك وبلا مناسبة!

وفى مساء يوم وجدت – الرفيق الجويلى حزيناً ومكتئباً لا يريد أن يتحرك من على فراشه وعرفت منه بعد محاورات طويلة أنه وصل الآنِ إلى سن الثلاثين من العمر بلا مستقبل أو زواج أو حتى يعيش فى حرية .. وطيبتُ خاطره ووعدته بمفاجأة فى اليوم التالى .

وفى الصباح مررت على بقية الزنازين لأشركهم فى حفلة عيد ميلاد الجويلى سيجارة مثلا رغيف خبز ناشف.. أحياناً بعض الشاى والسكر.. قطعة حلاوة من الكانتين.. صابونة . وفى المساء وبعد أن أغلقت الأبواب ومن خلال القضبان أعلنت .. يا زملاء الليلة عيد ميلاد المناضل الطيب الجويلى خادمكم فى صناعة التوتو وصاحب فضل علينا جميعاً . وانطلقت الأصوات من خلف الأبواب تنشد بلادى بلادى .. وبعض الأغانى المعروفة ثم أعقبها : يالا حالاً بالاً هنوا أبو الفصاد .. هنوا الجويلى بأسعد الأعياد .. وظهرت عِدة الشاى من مخبئها لعمل الشاى بالحجرة وتسليم الهدايا من الزملاء . وتصدرتُ القضبان بقصيدة هجاء .. نعم هجاء أسعدته لأنه كما قال لقد دخل تاريخ شعر الهجاء فى قصيدة غير عصماء لم تكتب على ورق بل سماعى وشفاهى . لأن الورق والقلم وكما

سبق توضيح ذلك هى جريمة كبرى قد تؤدى إلى القتل ، وكنا نستعين بالكتابة على سفل الحجرة البنى اللون بمسمار يحفر الكتابة وحتى لا يراها أحد من الحراس فيبلغ الادارة عنها .

وأذكر من هذه القصيدة مطلعها فقط وتبخر الباقى بحكم الزمن

جويلى :

لعنت وطالعك المنكود

واليوم الذى أتيت فيه للوجود !!

وهاص الزملاء وشكرنى الجويلى على شتيمتى له مادامت فى قصيدة وتوزع الشاى وكانت حفلة على شرف صديقى الجويلى خلال الجو المظلم واختتم الحفل

باغنية سيد درويش الخالدة :

ياعم حمزة .. إحنا التلامذة

ميهمناش نبات فى القلعة أو المحافظة

مستبيعين .. .. ناس وطنيين

واخدين على العيش الحاف

والنوم من غير لحاف

يا عم حمزة

صـــورة المعـــلم رجـــب ســـيخـــا

عندما تعود الذاكرة إلى زمن عدوان ١٩٥٦ على مصر بمساندة الدول الكبرى لإسرائيل - اشتعلت الحركة الوطنية داخل البلاد وتبارى الجميع على اختلاف مذاهبهم السياسية وأفكارهم وآرائهم للانضمام لكل أشكال المقاومة العادية والمسلحة فى كل مكان من أرض الوطن .

وشملت الهبة الوطنية مختلف المهن رجالاً ونساءً وشباباً ، وتألفت فرق المقاومة الشعبية بالبلاد والتدريب على حمل السلاح والمساهمة بكل ما يستطيع الفرد أن يقدمه للوطن . وانضمت فئات كثيرة من الشعب إلى التنظيمات اليسارية والمتحررة التى كانت تقود وتتصدر الكفاح الوطنى واندمجت فيه بما لمسوه من صدق وتضحية حتى انتهاء معركة ١٩٥٦ .

وسارت الحياة فى مسارها الطبيعى ولكن كان هناك لدى أجهزة الأمن كشوف لكل متطوعى جيش التحرير الوطنى أو كل من شارك فى العمل وظهرت له ميول سياسية مع التنظيمات السياسية .

وعندما بدأت اعتقالات ١٩٥٩ كان ضمن المعتقلين الكثير من هؤلاء المتعاطفين مع قضايا الوطن واعتقل عدد كبير منهم .

وكان عم **رجب سيخا** (أذكر أنه كان من ريف المنصورة) ضمن هؤلاء الوطنيين بالسليقة وبلا حذلقة .

وتصاحبت مع عم رجب لبساطته وتلقائيته المعيشية ، وكنت أقوم بالعمل معه فى تأدية بعض الخدمات بالمعتقل .

وفى يوم مشمس وأثناء طابور الفسحة الأسبوعى لنشر البطاطين بالشمس (فرش متاع) تعبير سجونى ، استطعت أن أحضر سيجارة من أحد الزملاء وبحثت

عن **عم رجب** لنتسامر بجوار سور العنابر .. وأهديت له هذه السيجارة ..

وبدأت الحديث معه فأخذ السيجارة شاكراً وقام بقطعها من المنتصف لتصبح نصف سيجارة .

ـ ليه كده يا عم رجب ؟؟

ـ النهارده نص وبكره النص التانى .. وربنا يفرجها .

ـ عم رجب أنت ولا مؤاخذه كنت بتشتغل إيه ؟ (فهو ممتلئ الصحة فى سمار ولون أرضنا الطيبة) وكنت أظنه فلاحاً أو أجيراً . وبدأت مفاتيح كلامه تنفك وتطلق لسانه فى سرد ظريف .

ـ أنا يا زميل – كنت حرامى .. شوية نصاب .. شوية عاطل .. شوية عندما يفرجها ربنا ترزق .. وربنا لا ينسى أحداً (حتى فى السرقة !!!)

ـ إزاى يا عم رجب نصاب .. يعنى إيه ؟؟

ـ النصب يا زميل عاوز ذكاء وعاوز حيلة ومخ رايق وحبكة مضبوطة ..إلخ.

ـ طيب هو كل يوم نصب ؟؟ .. احكى لى . وشد أنفاس نصف السيجارة وقال اسمع يا زميلى . فى مرة كنت مفلساً تماماً وأثناء سيرى فى شوارع المدينة شاهدت موكب تشييع جنازة ، فدخلته ضمن المشيعين ، وتساءلت من يكون المتوفى . فقالوا لى عم (فلان) التاجر كان رجل طيب ، وعزمت وتوكلت .. وتقدمت الصفوف ونحيت أحد الذين يحملون الجثمان من أمام الموكب وتشبثت به وبدأت فى السير بالجثمان سريعاً وبخطوات سريعة وباقى الأفراد يتبعوننى ثم تحول المشى إلى ركض وهرولة والناس تقول الميت هيطير إلى المدافن لأنه رجل صالح وبار ويريد الدفن سريعاً وإن أعماله تتبعه . وانبهر المشيعون لأن النعش يكاد يطير بفعل الشد والجذب ، وبعد أن توارى الجثمان المدفن ومعاونتى الظاهرة فى المشاركة فى هذه العملية أمام أهل الميت . ووقفت أزيح الغبار والأتربة عن ملابسى أمام الناس

وتقدمت لعزاء أهل المتوفى وأنا أواسيهم وأكاد أبكى وأشد على يد كل منهم فى مودة وتعزية حارة .. وكان كل منهم يدس يده فى جيبه ليخرج مافيه القسمة من النقود ويضعها فى جيبى .. وأردد كان رجل طيب بركة.. خفيف الوزن لأنه تخلص من ذنوبه .

وكانت جنازة مريحة مربحـة !!

وجلس يمتص عقب السيجارة فى شراهة ويبعث دخانها فى الهواء .

ثم انتفض صارخاً فى فناء المعتقل وقال ... بقى يا رب يعجبك كده؟؟ !!

اشتغل ٢٠ سنة حرامى لا يقبض على أو أحبس ، وأشتغل بالسياسة سنتين بس يعملوا كده معايـا ؟ مش ده ظلـم .. وأسقط فى يدى وحاولت تهدئته ..

ومضى كل منا إلى حال سبيله اليومى ..

صـــــورة   درس خصوصى

لا بد لمن خبر معيشة الاعتقال أو السجون أن يحاول مد الصداقة إلى الحراس حوله إما أكلاً .. أو سجائر .. أو نقوداً .. أو أى إكرامية لتوطيد العلاقة عند اللزوم ، وكانت خبرتى فى هذا المجال هى التودد بالدروس الخصوصية للحراس والسجانين .. لأنه كان قد صدر قرار بعدم ترقية أى فرد من قوة مصلحة السجون إلا بعد تأدية امتحانات شفوية وتحريرية فى القراءة والكتابة بدروس المرحلة الابتدائية أو بمحو الأمية .. وقد كان لى خبرة كبيرة بذلك عندما كنت أعمل بالتدريس فترة طويلة بالمدارس الأجنبية ، وعندما عرف بعض السجانين ذلك بدأ مد يد الصداقة معى .. لإعطائهم درساً خصوصياً ليلاً ومن خلف القضبان والأبواب المغلقة ..

وبعد التمام واستتباب الأمن والنظام يبدأ الشاويش للحضور إلى باب الزنزانة ومعه قلمه وكراسته وكتابه للدرس الخصوصى المجانى (حسنة وأنا سيدك طبعاً) . وخلال ساعة أو ساعتين يبدأ الدرس مع الشاويش والباب مغلق ويتم الشرح والاختبار وعمل الواجب الذى يسهر فيه طول الليل .. وأقوم بتصحيحه حتى مغادرته الوردية .. وهكذا كل يوم من أيام الصفاء وكان يتم حجزى من الحراس ومن عليه نوباتشية العنبر بالاتفاق فيما بينهم ومن هو على أبواب مغادرة السجن إلى القاهرة لتأدية الامتحان .. وكان الإقبال شديداً ومجانياً .

وكان الأومباشى (شريطين) على ذراعه اليمين يريد أن يمتحن ليرقى إلى شاويش ثلاثة أشرطة .. وكان ابن المنوفية الريفى الطيب عبد السلام .. وكان يسهر طول الليل فى المذاكرة فمنهج العربى والحساب طويل ولا بد من سهر الليالى، وأنا معه خلف القضبان أذاكر له . وسافر الأومباشى عبد السلام إلى القاهرة لتأدية الامتحان وينتظر النتيجة ..ولقد عاد بعد شهر من سفره وهو يحمل الثلاثة شرائط على ذراعه علامة أنه قد اجتاز الامتحان وتمت ترقيته وعاد مرفوع الرأس

وفوجئت به ليلاً أثناء وردية عمله فلما علم بمكانى حضر وأرانى باعتزاز وفخر الشرائط دلالة الترقية وهو سعيد ومسرور للغاية ..

وقال طيب بقى يا أستاذ أنت فضلك على كبير وأنت السبب فى هذه الترقية ودس يده فى (عبه) وأخرج لفافة أدخلها من بين القضبان ولما فتحتها وجدتها شبشب زنوبة) !! وأسقط فى يدى وقال لى أصل عيب بقى أستاذى يعيش حافى القدمين .. وانصرف مسروراً .

ولبستُ الشبشب داخل العنبر لأن فى خارجه قد تكون بداية لعلقة وسرت به مزهواً بين الزملاء وبدلاً من القول المأثور على رأسه ريشة تحول هذا إلى فى قدميه شبشب !!

ولأن الجميع كانوا حفاة .. وهو نوع من الإذلال الإنسانى الذى تفتقت عنه العقلية السادية فى استكمال التعذيب .

هل يتصور أحد مثلاً أن الدكتور فؤاد مرسى والدكتور إسماعيل صبرى عبد الله والدكتور عبد العظيم أنيس والعظيم محمود أمين العالم ونائب شبرا الدكتور فائق فريد والدكتور لويس عوض والفنان حسن فؤاد والرسام زهدى والصحفى سعد التايه وعبد الستار الطويلة والكاتب الفريد فرج وكل المعتقلين بالواحات ..حفاة .. حفاة .. ولسنين طويلة وهم من رموز وزهرة رجال الوطن.

ما هذا ؟ هل هذه هى الدولة الثورية (الأحرارية) الوطنية الاشتراكية الديمقراطية .. أم أننا كنا نعيش مع محرقة هولوكوست وجستابو مصرى ليتم إبادة كل مفكرى هذا البلد وحتى لا يعلو أى صوت على صوتهم .. صوت نيرون .. ثم يبررون ذلك ، بأن الحاكم لم يكن يعلم .. يا سلام .. ألم يعلم بالقتل والإبادة وكما قال الشاعر إن كنت لا تدرى فتلك مصيبة وإن كنت تدرى فالمصبية أعظم ..

صـــــورة الشاويش متى (الوحـــش)

أنماط أفراد الحراسة والسجانين ... أنماط غريبة وعجيبة وخاصة الموجودين بسجون السياسيين - تحتاج إلى تأمل وفحص ، يتم اختيارهم لهذه المهمة بدقة شديدة من حيث الشكل العام من الضخامة وتقاطيع الوجه الصارمة وكثير من الجهل عدا فك الخط والكتابة قليلاً ، وغلظة وعجرفة فى التعامل .

والشاويش متـى .. كان من ضمن هذه الفصيلة المتوحشة فى التعامل ، له كف خليط بين خف الجمل وخف الفيل تنتهى بأصابع متضخمة طويلة بأظافر بنية اللون ومن ذاق مصافحتها على قفاه أو وجهه فيسقط أرضاً فى المرات الأولى ويفقد وعيه إذا استمر هذا الحال .

ولأنى كنت (عمدة) حجرة ٤ عنبر ١ بالواحات ، والعمدة هو المسئول عن تنظيم الحجرة التى تحتوى على الأقل على ١٥ معتقلاً ، ويعمل على نظافة الحجرة والإشراف على تفريغ جردل البول وشطفه ، وملء جردل المياه للاستخدام طيلة اليوم ، وبالمناسبة .. الجردلان متشابهان ومختلفان فى الرائحة فقط ، وتدبير بعض السكر والشاى والجاز لإشعال (التوتو) ليلاً وتخبئة كل الممنوعات وتوزيع عطايا السجن أحياناً من المزرعة أو بقايا ورق صحف بها أخبار تكون فى قمامة إدارة السجـن .

وكان لزاماً علـىّ أن أقوم بالتودد والتزلف للشاويش متـى مخترقاً عقله من زاوية دينية ... نعم لقد أمكن معرفتى باسمه بالكامل من زملائه الصولات متـى صليب .

ومكره أخاك لا بطـل .. اخترقت جبروت عم متى من الزاوية الدينيـة ..

- أنت وأنا أقباط يا عم متـى !!

ـ رد : طيب وايه يعنـى ؟!

ـ بتروح الكنيسـة فى الواحات يا عم متـى ؟

ـ كنيسـة إيه يا مجنون هنـا .. هنا ضرب وبــس .

ـ مأموريتك كام شهر فى الواحات ؟

ـ ثلاث شـهور وأجازة ٣ أسـابيع مع الاولاد فى الصـعيد وأرجع لكم تانـى .. بس كفاية سهارى يا معتقل .

وهكذا من حين لآخـر أحـدثه من خلف البـاب المغلق بعـد التـمـام وأحـاول (تليينه) بمعسول الكـلام أو باستعدادى لمعاونتـه فى عـملية القراءة والحسـاب لأنى مدرس مشهور .. وهكذا .. وكان هذا يؤتى ثماره أثناء عملية التفتيش المفاجئ .

كل فترة غير منتظمة ، فكان الشاويش متى يتوجه لـى أثناء التفتيش ويعبث بحاجـاتى دون اهتمام بالبحث عن ممنوعات مما جعلنى مخبأ بين طيات مـلابسى وخلف ظهرى لإخفاء ما يمكن إخفاؤه .

ولقـد أنقذنى عم متـى كـمـا أناديه للتفـخيم والتعظيم ، من الموت فى حـملة تفـتـيش وعندمـا كنت أخبئ فى مـلابسى (بيـان ٩ ينـايـر) الصـادر عن الحـزب الشيوعى المصرى وهو أخطر بيان بعد حملة الاعـتقالات لكل الشيوعيين واليساريين والمثقفين ورؤساء النقابات العمالية والصحفيين وغيرهم وكان يفضح النظـام ويتهمه باسـتـخـدام أسـاليب فاشيـة وكـان بحجـم الدوبل فلوسـكاب مطـوياً ومطبـقـاً بعنـاية شـديدة للحرص عليه وإمكان تخبئته . وقد أُتهم من (**تنظيم حدتو**) بأنه يسارى جداً !!!.

ودون اهتـمـام تركنى بعـد تفـتـيش صـورى حـتى لا يلاحـظه أحـد ، وفـى ليلة باردة وبعد التمام .. كان الشاويش متى المشرف على حراسة العنبر من الداخل أى كان مـحبوسـاً مثلنـا بالعنبر . ووقـف على بـاب زنزانتى المغلقة ومن خـلال القضبان قال: تعـالى واد يا صليب خد .

وأعطانى رغيف واحد من الخبز ومعه عرقين فجل أحضرهما من المزرعة وقال لى كل واتغذى .. أصل اسمك على اسم المرحوم والدى .

– الله يرحمه يا عم متى أنا مثل أبوك وأنت مثل ابنــى .. وأخذت الهدية فرحاً.. لأعرضها على لجنة العمودية بالحجرة للتصرف فيها برأى المجموعة .

وكان الرأى **الرغيف لى والفجل للجميع** بالحجرة لأننا لم نر أى لون أخضر منذ فترة طويلة .

صـــــورة   الصول نمر وبتوع الكلام

الصول نمر.. كان ضمن قوة معتقل الواحات ، يسيطر على كل السجانين صارم الوجه. ضخم الجثة. باهت اللون. ذا شارب يقف عليه الصقر.. لأنه يعالجه ببعض الدهانات حتى يبرمه فى فخر وعنجهية .

قليلاً ما نراه مبتسماً صافياً .. كثيراً ما نشاهده عند طابور الصباح وتمام يا أفندم .

بص تحت رجليك (رفع الرأس صوب السماء من الممنوعات) .. قف وللأمام در ، كأنه قائد كتيبة مدرعة فى معركة حربية قواتها نحن المعتقلون حفاة ..عراة .. إلا من قميص وسروال من قماش الدمور الخشن مع (وردروبه) أى شبه بلوفر من الخيش السميك لفصل الشتاء (تعليمات الحكومة) للإذلال.

طابور العبيد لمدة ساعة تقريباً فى الصباح وإلى المزرعة للعمل بها ، وهى ليست مزرعة .. ولكنها الصحراء الجرداء ، لا ماء فيها غير بئر مياه ضعيفة من الآبار التى تنتشر بصحراء الواحات ويبدأ العمل صباحاً كلُ يستلم فأساً ومقطفاً من الخوص أو الكاوتش يملؤه بالرمال والأحجار لنقلها من مكانها إلى مكان آخر أو بصريح العبارة نقل تل من مكانه إلى مكان يحدده الشاويش .. وبس .

بلا فائدة .كأيام السخرة ، مع الاحتراس الشديد بأن هذه الرمال والأحجار قد تخبئ تحتها بعض الزواحف وأخطرها ثعبان (الطريشة) وهى شديدة السمية لمن يلدغ بها ولا يصلح أو يكتشف لها دواء أو علاج فتصيب بالموت فوراً وقد أمكن قتل العديد منها ، لأن الحياة معها كانت إما قاتل أو مقتول .

وفى لحظة صفاء أحطنا الصول نمر بمجموعة قليلة من الزملاء ، كاتب هذه السطور والشاعر العبقرى فؤاد حداد والشاعر محسن الخياط رحمه الله ، وسعد

الســاعى من المنصــورة (**سعد الساعى كان أول دفعته بكلية العلوم بالاسكندرية وانضم إلى أحد التنظيمات اليسارية المتطرفة فى الخمسينيات والتى اتخذت قراراً بأن يقوم أعضاء التنظيم بالدخول إلى المطاعم وطلب بعض الوجبات اللذيذة ثم فجأة يتركون المطعم جرياً دون سداد الحساب ، ولم يوقف هذا القرار إلا أنه قد تم القبض على الزبون السياسى المفلس ويأكل علقة ساخنة من صاحب المطعم وعماله ، وقد أثيرت هذه (الطرفة) فى مناقشة مجلس الأمة عام ١٩٥٠ . وقامت المنظمة اليسارية المتطرفة بوقف قرار الامتناع عن الدفع) .**

وفى لحظة شجن دمعت عيون الصول نمر وقال لنا بعد أن استمع لقصيدة من قصائد فؤاد حداد الانسانية :

ـ أنا مسجــون زيكم تماماً .. بعيد عن زوجتى وأولادى وأصحابى وأعيش معكم فى الصحراء ولفترة ٦ شهور على الأقل قد تتجدد ولا يؤنس وحدتى معكم إلا أنتم وبلاويكم ..والبلاوى هى المناقشات وكثرة الكلام فى السياسة .

ـ ولكن يا حضرة الصول أنت تأكل وتشرب الشاى ساخن مع الخضار والأرز واللحم وحاجة خضراء مش زينا جعانين هفتانين عريانين ولا نعرف أحوال أسرنا وأطفالنا .. وسرح الصول نمر ونظرإلى السماء وقال قولته المشهورة أنا اشتغلت كتير فى مصلحة السجون .. قمت بحراسة تجار مخدرات ..لصوص .. قتله .. نشالين .. قطاع طرق .. كل واحد جاء إلى السجن بتهمة محدده ومعروفة .

أما أنتم فإن تهمتكم : كـلام .. كـلام .

أنتوا بتوع كلام (وأدلى بحكمته المأثورة) **العلم بالجهل ولا الجهل بـه .**

وابتسمنا جميعاً وشخط فينا هيا إلى العمل يا مسجون أنت وهـو !!

صـــــورة وجبة دسمة

لا شك أن مـخطط الإبادة داخل المعتـقل كـان مـوضـوعـاً بعناية ودراسـة متخصصين فى فنون التعذيب ، وكان خبراء هذا النوع البشع من القتل البطىء له دراساته وخبراؤه .. ليس فى ألمانيا النازية أو فى وحوش المخابرات الأمريكية .. بل وفى بلدنا أيضاً .. فكل شـىء وكل خطوة وكل شبر لإذلال النفس البشرية والكرامة الانسانية لتتمخض خطة الموت البطىء عن إنهاء حياة الآدمى المطلوب تصفيته جسدياً أو ما قبل ذلك فكرياً ومرضياً وذهنياً.

وكان الجـوع .. الجوع هو أحد أركان هذا المخطط الكريه الكئيب وإلى جانبه ويسير فى ركابه الوحشيـة فى التعامل .. الضرب .. والسحل .. والتعذيب .. والحفـاء .. والعـرى .. والعزل تماماً عن الحياة داخل زنازين مغلقة لا تعرف الشمس أو الهواء وبرودة أرض صلدة تشع إما حرارة قاتلة أو برداً قارساً فيذبل جسد الإنسان حتى تلغى إنسانيته تماماً أو ينهار بمعزل عن العالم ..

وكانت المقاومة الداخلية للإنسان ومحاولة المقاومة الفكرية للتصدى لكل ذلك هى القوة الوحيدة التى تحاول المقاومة لاستمرارية الحيـاة .

وكـان الخروج من وحشية الزنـازين إلى العمل فى الصحراء رغم بشاعته بصيصاً للتنفس ، وفى طابور طويـل إلى العمل العبثى المقرر والمخطط له

زى طابور النخاسة .. زى طابور العبيد

فى الحجلات اللعينة .. وكل أيـد فى ايد

(للزميل المهندس محمود المستكاوى)

وكـان للبرد القـارس تأثير كـبيـر فى ازدياد حـاجـة الإنسان للطعام وشعوره

الشديد لشىء يأكله .. أى شىء .. وحتى لا تجف أمعاؤه عن العمل والصحراء جرداء لا نبات ولا فروع شجر أخضر يمكن أن يؤكل أو حتى يمضغ.

فلقد كانت الوجبات تصرف مرة واحدة فى اليوم مع ثلاثة أرغفة . ولا تعدو الوجبة المنتقاة قطعة من الجبن القريش لا يمكن مضغها إلا بعد نقعها فى مياه لمدة يوم وإلا تحولت إلى قطعة طباشير يمكن استخدامها فى الكتابة على حائط وأحياناً بعض قطرات من العسل الأسود وغالباً رائحته غاز كيروسين (ويبدو أن صفائح العسل الواردة للسجن قد اختلطت بجوار بعضها) مع بعض حبات من الفول المدمس الأسود والذى يبدو السوس مضيئاً بداخل كل فولة مع مائه البنى الشكل أو قروانة العدس الأصفر برمله وحصاه .

(فى إحدى المناسبات - وكان عيد الأضحى على ما أذكر - أن سيارة التموين الوارد للسجن لم تصل ، وتتفتق عقلية المسئولون على صرف وجبة العدس دفعة واحدة عن الثلاث وجبات وطوال فترة العطلة الرسمية أى عدس صباحاً وظهراً ومساءً ولمدة حوالى أربعة أيام وكانت المعاناة ليست فى الأكل فقط بل وكيف يتم تسخينه طوال هذه الفترة)

وكانت مزرعة السجن والتى يسيطر عليها تنظيم الإخوان المسلمين مصدر هناء لهم وتمكنهم من نشر مظلتهم على المخبز والمخازن بقوة نفوذهم وإمكانياتهم المالية .. ولقد تلاحظ لى أن مجموعة المساجين منهم .. بصحة جيدة وضخامة أجسادهم وأناقتهم حتى فى ملابس السجن الزرقاء ، وتأتيهم الزيارات محملة بكل ما لذ وطاب .. وهى حكر على مجموعاتهم فقط ويستغلون المساجين العاديين (سوابق) فى خدمتهم وبفروشهم وسجائرهم ، أو قيام الفقراء منهم بتنظيف غرفهم فى إذلال بحجة أنهم خلقوا طبقات بمفاهيم استعبادية وكانوا لا يسمحون لأنفسهم بالاختلاط ببقية المساجين أو المعتقلين من غير الإخوان .

وفى يوم يتشابه مع بقية الأيام الأخرى كان الزميل **ظريف عبد الله** وهو محام قدير وخبير فى القانون الدولى يستظل بشجرة خضراء مورقة ، وامتدت يده

يقطف ثمرة متدلية من هذه الشجرة ليضعها فى فمه ليتذوقها قبل أن يفقد حاسة التذوق أيضاً . وكان مذاقها جديداً ظنها شجرة بندق أو لوز .. ثم ثمرة أخرى ونادى أصدقاءه و زملاءه لمشاهدة هذا الاكتشاف الغذائى ، وتوافد بعض الزملاء حول الشجرة وشجيرات أخرى متشابهة .. وتغزلوا فى هذه الثمرات ما بين لونها وحجمها وتكوينها وجمالها .. ولكل وجهة نظره وهو يأكلها . إلى أن أخبرهم أحد الزملاء من أبناء الريف بأن هذه الشجرة هى شجرة خروع ومنها يصنع زيت الخروع .. الزيت الكريه الرائحة ويستخدم فى علاج الإمساك وملعقة واحدة من الزيت لها مفعول السحر على الأمعاء .

وقد كان وبعد التمام ليلاً وإغلاق عنابر الاعتقال .. حدث هرج ومرج ودق على الأبواب .. الحقونا نحن نموت .. إسهال شديد .. وقىء لعدد كبير من الزملاء والذين تعاملوا مع ثمار هذه الشجرة وحضر مأمور السجن وضباط المعتقل وفتحت الأبواب وبدأ الأطباء المعتقلون فى التعامل مع هذه المشكلة للعدد الكبير بين غسيل معدة ووقف القىء بامكانيات محدودة وبدأ بعض الزملاء فى الإشراف على الموت .. وتجرأ مأمور السجن بتجهيز سيارة السجن لنقل البعض إلى مستشفى الخارجة الأميرى ، ولولا عناية الله وحده لفقدنا عدداً كبيراً من الزملاء شهداء الخروع والجوع وحاولنا جميعاً العناية بالمرضى والتخفيف عنهم ، وصاحبت الزملاء فى محنتهم ، وجادت القريحة بكلمات من الشعر الفكاهى من وحى الساعة والظروف وغنيت لهم من كلماتى :

يا خروع خروعونا الحبايب وإحنا لم نتخروع

ويا إسهال أسهلونا الأجانب وإحنا لم أسهلنا

وابتسم البعض .. وطردنى الآخرون من خدمتهم .

ـ الزميل الأستاذ **ظريف عبد الله** (يستحق سطوراً عنه) فهو قد تعدى عمره الخمسين وكان وقت ذاك أعزب ولم يتزوج .. لماذا ..

ـ وأنت مالك .!!

وكان له خبرة طويلة فى إستخدام صابونة الغسيل التى كانت تصرف من السجن للغسيل بمعرفتنا ورغم لونها البنى الداكن ولكنها كانت مكسباً كبيراً للنظافة ، وكان الأستاذ ظريف فناناً فى غسيل ملابسه المكونة من قميص وسروال قماش دمور صناعة رديئة .. فكان يستخدم وجهاً واحداً من الصابونة ثم وجهاً آخر ثم وجهاً ثالثاً وهكذا بانتظام مع الصابونة المكعبة وحتى ينتهى استعمالها عندما يصل حجمها إلى شكل زهر الطاولة مقاس ١سم – ١سم .. فيحفظها معه تذكار للغسيل !!

ولقد طفش الأستاذ ظريف بعد الإفراج عنه إلى فرنسا ليشغل منصباً هاماً فى هيئة دولية .



صـــــورة أطفال البيه المأمور ..!!

بعنبر ١ بالواحات والخاص بالمعتقلين قام الزملاء الأطباء ، **صلاح حـافظ وحمزة البسيونى** بالعمل على إنشاء شبه عيادة طبية للطوارئ وفى ركن مخصص كمخزن للبطاطين والجرادل (والقروانات) الصفيح ، وضع سرير مع منضدة شبه رف توضع عليه الأدوات الطبية والأدوية والتى كانت يرد بعضها من طرود الأدوية من العائلات التى صرح بها مؤخراً ، وهى أدوية أولية لعلاج الإسهال والمغص والشاش والجبس للكسور ، (وانحشرتْ) مع الزميل الدكتور صلاح حافظ ليعلمنى كيفية إعطاء الحقن .. خاصة للحراس والسجانين .

فعندما تقترب أجازة الحارس لعودته للقاهرة وبلده لمدة ٣ أسابيع بعد خدمة كل ٣ شهور بالواحات كان الحارس يرغب فى أن يعود إلى أسرته موفور الصحة قادر على ممارسة حياته مع زوجته التى حرم منها طوال شهور.. وكان ذلك يتلخص فى الحقن ..

كل حارس يحضر ومعه علبة من أمبولات الفيتامين والحديد وخلاصة الكبد وغيرها يشتريها من صيدلية مدينة الواحات ويحضرها يوم بعد يوم لأخذ حقنة .

ـ مقوية يا واد ....

ـ حـــاضر .

وتعلمت إعطاء الحقن بدون ألم .. أو ألم مقصود أحياناً لغلاظ القلب .

وفى ليل شتاء قارس وعند منتصف الليل تقريباً ، حيث لا يوجد أى ساعة لدى أى معتقل حصل هرج ومرج كما يقولون وفتح باب العنبر الرئيسى وأحد الصولات وعدد من السجانين يصيحون عاوزين دكتور ، ويمرون على كل غرفة ويكررون عاوزين دكتور .

وتساءل دكاترة الهندسة والاقتصاد والأدب :

– يعنى إيه ويعمل إيه ؟

.. والرد دكتور يا جهلة لعلاج العيانين .

وفتحت الأبواب وخرج منها بعض الأطباء المعتقلين ، صلاح حافظ ـ حمزة البسيونى ـ شكرى عازر ـ شريف حتاتة ـ محمد مختار وذهبوا حفاة إلى أين لا نعلم .. وفى الصباح سمعنا أصوات وضجيج عودتهم .

– أين كنتم ؟؟

واستمعنا لما حدث بالأمس ، كان مأمور السجن فريد شنيشن يسكن مع أسرته فى الفيللا المخصصة له خارج نطاق السجن وكان معه طفلان ، وفجأة حدث تسمم للطفلين وأتضح أنهما استعملا أدوية للضغط المرتفع أثناء عبثهما ولعبهما ، وأصاب الطفلين الهبوط والقىء ، وتحير سيادة المأمور ، ماذا يفعل ؟ ومستشفى الواحات الخارجة يبعد حوالى أربعين كيلومتراً عن السجن ، وقد لا يجد طبيباً يسعف أولاده قبل مفارقتهم الحياة ولجأ مكرهاً إلى الأطباء المعتقلين واستدعائهم على عجل ، وبذل الزملاء كل جهدهم وخبرتهم طوال الليل من علاج واسعافات وتفريغ معدتهم ورعايتهم حتى كتب لهم السلامة ، واطمأنوا على صحة الطفلين والمأمور صاحب الصولجان والهيلمان يلازمهم مع شكرهم عملياً ، بأكواب الشاى الساخن أو بعض السجائر أو شىء من الإفطار . وعادوا ليقصوا ما حدث . السجين ينقذ أبناء السجان . ومرت الأزمة بسلام . ومر يومان وفى أثناء تمام الصباح وقف المأمور بدون شموخ ولا غطرسة ليعلن فى هدوء ودون تعليمات أو شتائم بتخفيف العمل بالصحراء واستبداله بالعمل بالمزرعة وتخصيص وقت للفسحة وتحسين بعض وجبات الطعام الميرى . والتعامل باللين والهدوء .

وتم تحديد مساحة بالسجن بجوار أحد عيون المياه لتسويتها ، وتفننت العقول فى محاولة الزراعة وإحضار تقاوى تصلح لهذا الصهد الجبلى ، وبدأ الزملاء فى

العمل برغبتهم الحقيقية فى الإنشاء والتعمير ، لتخضر المساحة وتبدأ النباتات فى الظهور مع بعض الخضروات التى تشيع البهجة وسط الصحراء ، وتؤتى ثمارها ليوزع كل أسبوع على عنبر من العنابر .

وتواجد من هنا منافس قوى للمسجونين من جماعة الإخوان المسلمين بامكانياتهم المادية والمالية والتى تظهر فى كل شىء ، مأكل وملبس ومعيشة حتى داخل السجن ، وكانوا يسيطرون على مخبز السجن ويتولون إدارته والعمل به وأيضاً المزرعة الرسمية يزرعونها ، ولهم اليد الطولى فى المطبخ وأنواعه الجيدة من الطعام تذهب إليهم وبقية النفايات لغيرهم . وكانوا طبقة ثرية يحصلون على كل شىء بنفحات أموالهم للسجناء العاديين والحراس ، ولهم ملاعبهم وحياتهم المغلقة أمام الآخرين .

صـــورة وكأن السجن يقول هل من مزيد ؟!

أغسطس ١٩٦٠

فى الصباح لم تفتح الأبواب كالعادة لاستمرارية أعمال السخرة وجرى هناك حول الإدارة وأصوات مريبة تنبئ عن حدث جديد .. هل هى زيارة للهمام همت ، أم إعداد المسرح لجريمة جديدة .

لقد وصل وفد جديد ليس من منظمة حقوق الإنسان مثلاً أو من رجال القضاء والنيابة لاستقصاء أحوال الهياكل البشرية الموجودة بسجن الواحات الخارجة .

لا .. لقد كان وفد من نوع جديد .. وفد من الإخوة الفلسطينيين القادمين من قطاع غزة . وغزة كانت تحت الحكم المصرى وقتذاك وقبل نكسة ١٩٦٧ ، لقد أنطلق جبروت النظام حتى وصل إلى غزة ، وكان الوفد الفلسطينى المعتقل حوالى عشرين عضواً من خيرة رجال غزة وفى مقدمتهم **الشاعر الكبير معين بسيسو** والمفكر الفلسطينى **عبد القادر ياسين وأحمد خليل الحاج وخليل عويضة وفريد أبو وردة** وغيرهم .

وعلمنا بأنهم قبل وصولهم إلى الواحات ، أنهم قادمون من السجن الحربى بعد أن أمضوا به أسابيع قليلة ليحصلوا على اعتماد اللواء حمزة البسيونى قائد السجن الحربى وعلى بصماته على أجسادهم وختم النسر المقرر على رءوسهم .

وانخرط الرفاق الفلسطينيون معنا فى الحياة لهم ما لنا وعليهم ما علينا وكلنا فى المهانة سواسية . وكان للشاعر الفلسطينى الكبير تواجده ليلاً .. عندما تغلق الزنازين ويعم الظلام وينطلق الشاعر من خلف الأبواب ببعض قصائده .. التى أشعلت الحماس .

وبدأ التنافس بين الشعراء يرد عليه **محسن الخياط وفؤاد حداد** وغيرهم

بمـا تجود به قرائح الغير وقد تبين أن اعتقال معين بسيسو مع خطيبته ، قبض أيضاً على إخوته الثلاثة ، فبكت الأم لهول ما أصابها فى بنيها وقال لها معين بشعره :

لك الجماهـير أبناء بلا عـدد

فلست وحدك يا أمـى بلا ولد

ومن أقواله المأثورة التى قيلت :

أنـت إن سكـت مـْـت

أنت إن نـطقتْ مــت

فـقـلـــــها ، ومـــت

ورد عليه البلبل فؤاد حداد بقصيدته :

المــوتُ طليق النـابْ

بيفــــرق الأحـبـاب

الموتُ على الأبـواب

ســـادد عـلينا الدرب

الشـرد والزمـهريـر والدوامـات تـوب لـى

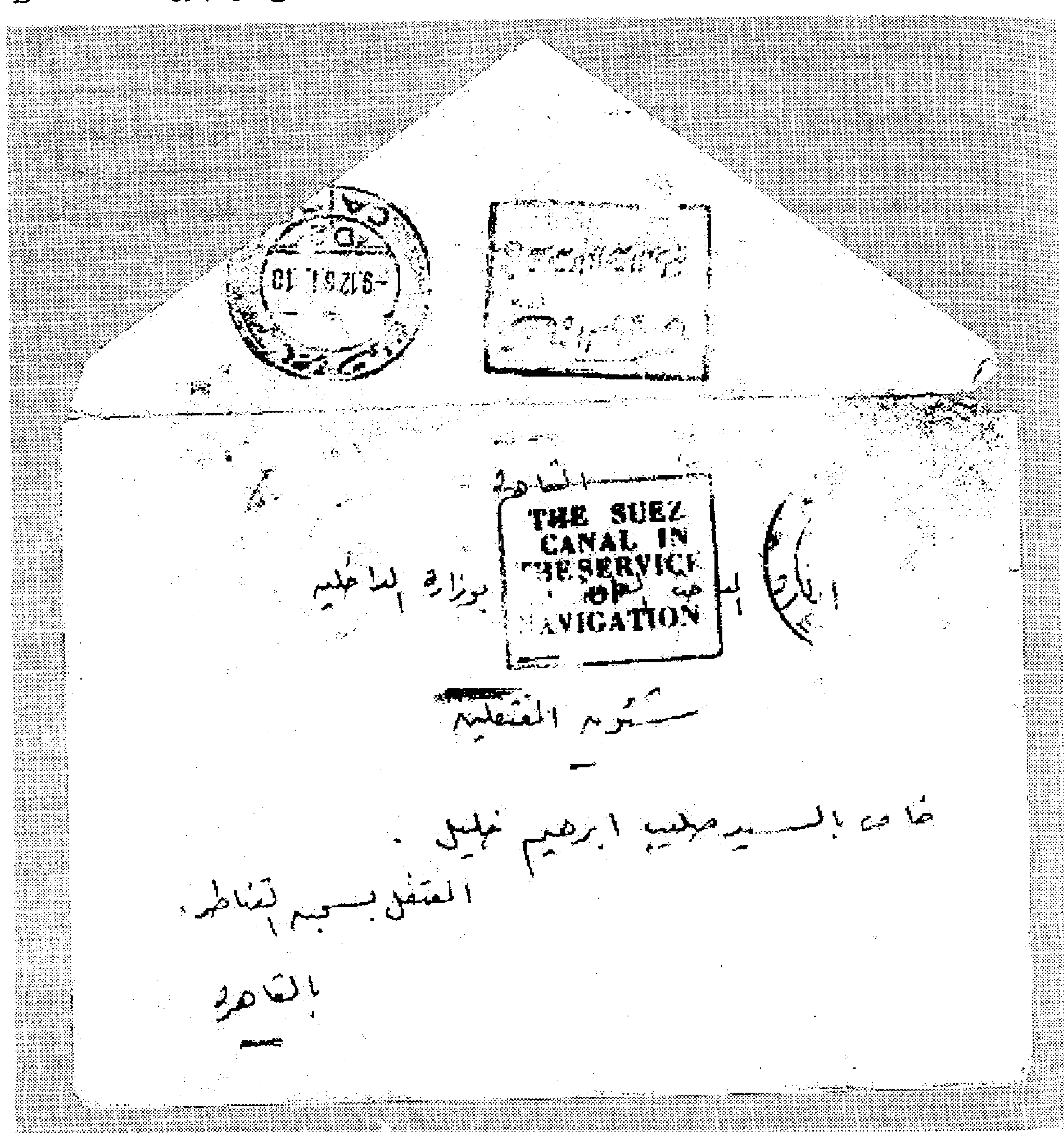
عـديت صـحارى وليـالى مهـلكة تبـلـى

وسوس فـى صدرى شيطان الراحة قال تب لـى

م الـغـــربة بعد الشـقـا أنا قلـت يا شـــــيطان

دا الحـب أوطـان ..وكأن الحـب مكتوب لـى

ولقد حـاول الزمـلاء من تنظيم (حـدتو) أن يسمـعوا من مـعين بسيسو بعض قصـائده التى كـانت تتـحـدث عن أمـجاد عـبد الناصـر ولكنه رفض ذلك!! وكـيف والبصمات على جسده توضح نهاية هذه البطولات .



مظروف خطاب وارد عن طريق المباحث العامة

صـــــورة يوم آخر .. وكل يوم!!

ويمضى اليوم .. مثل كل يوم نسخة بالكربون يتولاها مدير المعتقل فريد شنيشن خلفاً لإسماعيل همت بعد عودته للقاهرة . نفس البرنامج ، الجلوس فى السابعة صباحاً على حصى كأسنان الدبابيس والأرض غارقة بالمياه مع الحفاء .. والرأس منكسه فى الأرض والشوم والجريد على الظهور وأحياناً تزداد القسوة عن ما جرى عليه فى يوم سابق حتى لا يظن أن السيد مأمور المعتقل لا يتفانى فى عمله .. أو يعتبرونه مقصراً .. لأنه يبدو بوجود موظف بإدارة المعتقل على صلة بالمباحث العامة بالقاهرة وينقل لها الأخبار .. لذا كان الذعر والخوف يسيطر على كل أفراد إدارة المعتقل بسبب ذلك .

أحياناً تهدأ الأمور قليلاً .. وأحياناً أخرى تزداد القسوة والشراسة بسبب أو دون سبب. وفى يوم ما تنامت إلينا أخبار عن الباخرة المصرية كليوباترا والتى كانت فى الموانئ الأمريكية ورفضت نقابات العمال القيام بتفريغها أو تموينها بحاجتها من الوقود .. وهو قرار يخالف الأعراف الدولية وقتئذ .

ففكر المعتقلون فى تسجيل موقف سياسى وطنى فى هذا الوقت فتوجه ثلاثة منهم .. الضابط السابق محمود المانسترلى والكاتب أسعد حليم ومندوب العلاقات المحاسب سيد عبد الله .

وطلبوا مقابلة السيد المأمور وتمت المقابلة فى مكتبه وشرحوا أنهم يؤيدون النظام وعلى رأسه عبد الناصر ، وأنهم يرجون توصيل مذكرة بذلك وطالبوا التنظيمات العمالية فى القاهرة بأن يقاطعوا البواخر الأمريكية التى تصل إلى مصر وأن تكون المعاملة بالمثل ، وأن هذا هو رأى كل المعتقلين بسجن الواحات .

وابتسم المأمور ... هو أنتم لسه ليكم رأى ؟ لسه فيكم نفس !!

وأطلقهم إلى خلف مكتبه حيث كانت تستقبلهم أورطه من السجانين بالشوم الجـريد والكرابيج فى قسـوة مـريرة مع النظام ، وكـان أكـثر المتـضررين فى هذه المجزرة هو الزميل محمود المناسترلى لأنه كضابط سابق كان جسده فارع الطول قـوى البنيـان .. وتسلط عليـه الكثيـر من العسـاكـر حـتى يسـقطوه أرضـاً ويدوسـوه بأحـذيتـهم وباللكمـات فى كل مـوضع من وجـهه ورأسـه . وعـاد المندوبون الثـلاثة مجرورين مسحولين إلى العنابر متورمين واللون الأزرق يكسو أجسادهم ، وأحاطهم الزملاء لتضميد جراحهم بالود والحب والتأسى والمشاركة الوجدانية للتخفيف عنهم.

صـــورة دم الشهيـد .. يوقف المجزرة !!

وفى هذا اليوم .. وكان مثل كل يوم .. ولكن منتصف يونيو ١٩٦٠ كان له مذاق آخر .. بعد تمام طابور الصباح وتأخر التمام قليلاً لنفاجأ بوصول مأمور السجن فريد شنيشن، يحضر لتفقد عبيده ، ولم يكن يمسك فى يده عصاية أو شومة ولا حتى مسدسه.

وابتسم ابتسامة صفراء وهو يقول :- أنا شايف أن صحتكم هذه الأيام بخير ..وأنكم منضبطين فى السجن والعمل .. ويمكن الاستفادة بجهدكم وخبراتكم فى حياة السجن .. وبعض الكلمات الإنشائية التى لا مدلول لها وعفا الله عما سلف لذا قررت ، بعد قرار الإدارة العليا طبعاً ، أن تكون معاملاتنا بصورة أفضل ، والقى بالقنبلة ...

١- أن العمل فى الصحراء قد يتوقف ابتداء من غد ويمكن لمن يرغب العمل فى مزرعة السجن برغبته وإرادته لزراعة الخضر والفاكهة وتحسين إنتاجها بخبراتكم الزراعية وسيعود ذلك بالخير علينا وعليكم جميعا.
٢- تقرر أن يسمح لكل معتقل تحرير خطاب واحد لأسرته شهرياً وتحت إشراف الإدارة ولسطور قليلة ولكن بدون انتظار ردود إلا بعدين..!! والخطابات سوف تراجع من الضابط النوبتشى ثم ترسل للمباحث العامة لتتولى إرسالها بالبريد.
٣- يسمح بارتداء أحذية .
٤- يسمح بالتعامل مع الكانتين وتحرر بطاقة كانتين لكل معتقل وفى حدود مبلغ جنيهين شهرياً .
٥- طبعاً لا أقلام ولا أوراق إلا للخطابات فقط وتحت الإشراف .
٦- تفتح أبواب الزنازين داخل العنبر فقط حتى ساعة الغروب .

٧ـ طبعاً لا زيارات ولا صحف ، لا اتصال بخارج الواحات .

٨ـ مسموح بطرود الأدوية فقط . وتسلم للمباحث العامة فى القاهرة وهى تتولى إرسالها للواحات ... أظن كده كفاية وهيا إلى الجبل .. آخر يوم عمل فيه ثم المزرعة لمن يرغب ..

وتحركنا جميعاً مذهولين لما حدث الآن !!

ماذا حدث ولماذا هذا التغيير المفاجئ بل والمذهل ، وسرنا كل منا يسأل من بجواره : إيه الحكاية ؟

وبدأنا(نشمشم) على الأخبار مع السجانة والشاويشية والحراس وغيرهم .

هل النظام مات؟ .. هل الحكومة طردت من الحكم ؟ وألف هل وألف هل ..

ولم يتم عمل فى هذا اليوم غير المناقشات والتحليلات السياسية ، كل مجموعة من تيار سياسى معين تتشاور عن هذا الحدث .. مبررات .. دلولاته .. وألف ما . وتم العودة مبكرا إلى الزنازين وجددت مفتوحة لا تغلق إلا بعد التمام عند الغروب.

وكان لابد من معرفة سبب كل ذلك ؟ وبدأت الأنبياء تتوارد ونشط بعض الزملاء للحصول عليها من ناحية الإدارة أو موظفيها .

كانتين

بطاقة تعامل رقم ٢٥

اسم النزيل [illegible]

وكانت المفاجأة التى أوضحت أسباب ذلك .

وهى استشهاد **الزميل شهدى عطية الشافعى** المتهم الرئيسى فى المحاكمة الكبرى بالأسكندرية والذى دافع دفاعاً سياسياً عن الحزب مؤيداً للرئيس جمال عبد الناصر وخطه السياسى مستنكراً للمحاكمة والسجن والاعتقال والتعذيب . وأوضح فى المحاكمة أن الخط السياسى للحزب (تنظيم حدتو) أنه يوجد على رأس الحكومة الوطنية مجموعة اشتراكية بزعامة عبد الناصر !! وطالب بالافراج فوراً عن كل المعتقلين للوقوف مع النظام فى صف واحد لبناء الاشتراكية معه .

وبعد انتهاء المحاكمة عاد شهدى عطية مع رفاقه إلى سجن أوردى ليمان أبو زعبل وفى حفل الاستقبال المعد للمجموعة كان الضرب والسحل ، وقتل شهدى عطية ضرباً بالشوم على رأسه وبطنه حتى مات شهيداً للنضال الوطنى ولقضية الحرية والديمقراطية، ولم يكن البطل شهدى هو أول من اغتيل ضرباً وقتلاً بل كان قد سبقه الشهيد محمد عثمان والشهيد الدكتور فريد حداد ، ولكن يبدو أن شخصية الشهيد شهدى كانت شخصية عالمية ، فهو أول مفتش للغة الإنجليزية بمصر لأنه كان خريج جامعة كمبردج بانجلترا ، وكان صاحب ومدير دار مصر للترجمة والنشر وكاتباً بجريدة المساء ومعروفاً لدى وكالات الأنباء العالمية والسفارات الأشتراكية فى مصر والعالم .

لقد قتل شهدى عطية فى ١٥/٦/١٩٦٠ ، وعندما تناثرت الأنباء ووصلت إلى أسرته بنشر نعي وفاته بجريدة الأهرام فى ٢٠ / ٦ / ١٩٦٠فى نعى عجيب أثار انتباه كل قراء الأهرام (وكيف مر النعى على الرقابة فى صفحة الوفيات) يتصدر النعى التالى :

شهدى عطية الشافعى

عطية الشافعي وأسرته ينعون بعد أن واروا عزيزهم فخر الشباب الأستاذ شهدى عطية الشافعى مقره الأخير ويقولون لمن واساهم : لن نشكركم فالشكر لكم فى هذا الموقف نكران لوفائكم .

وشهدى وذكراه ملك لكم وأمانة فى ضمائركم .. أما أنت يا عزيزنا الغائب فإننا نرثيك بهذا :

فتى مات بعد الطعن والضرب ميتة

تقوم مقام النصر إن فاته النصر

تردى ثياب الموت حمراً فى دجى

لها الليل ألا وهى من سندس أخضر

وما مات حتى مات مضرب سيفه

من الضرب واعتدت عليه القنى السمر

ونفس تعاف العار حتى كأنما

هو الكفر يوم الردع أو دونه الكفر

(وهى من قصيدة للشاعر أبى تمام)

وتناقلت وكالات الأنباء برقيات أسرته ووصلت أخبارها إلى (بريونى) بيوغسلافيا حيث كان عبد الناصر يشهد مع الرئيس تيتو جلسة لمجلس النواب اليوغسلافى وفوجئ بالمجلس يقف حداداً على استشهاد شهدى عطية الشافعى ، واحتج أحد النواب اليوغسلاف وقال : مصر تتحدث عن الاشتراكية والديمقراطية وهم يقتلون رموز الاشتراكية والديمقراطية !!

ورد عبد الناصر : لم نقتل أحداً . وقدمت له برقيات وكالات الأنباء العالمية والتى تعلن عن مقتل شهدى عطية من جراء التعذيب على باب أوردى ليمان أبو زعبل فى مصر . وكانت مفاجأة قاسية لعبد الناصر على مستوى عالمى فأخطر القاهرة ووزير الداخلية بوقف التعذيب وإجراء التحقيق فى ذلك .

ومن هنا توقف التعذيب وكان دم الشهيد ضوء أمل وطمأنينة لكل سجناء الرأى وكان الثمن باهظاً للغاية .

وساد الوجوم وقطرات من العيون تدمع وانقباضات قلوب حزينة أليمة .. لقد سقط شهيد آخر .

ويقول د / فتحى عبد الفتاح فى كتابه ثنائية السجن والغربة

(لقد أخذت أتصور الدكتور لويس عوض المثقف المصرى العالمى ، والضابط يونس مرعى يلقيه على الأرض ويضربه بحذائه مثلما يضرب حشرة ، والدكتور فؤاد مرسى أستاذ القانون بكلية الحقوق بالأسكندرية وملابسه تخلع عنه ليضرب على المناطق الحساسة فى جسده والدكتور إسماعيل صبرى عبد الله ، وقائد الأردى وزبانيته يتسلون عليه وهم يأمرونه بأن يدور فى حلقة كالثور لتنهال عليه الكرابيج والشوم ، والمئات من خيرة أبناء مصر الطيبين من عمال ومثقفين وفلاحين وطلبه وهم يعاملون تلك المعاملة الوحشية طيلة ثمانية أشهر وكان الدكتور لويس عوض مثلما نشر فى مذكراته يفزع من النوم ليلاً ليصيح أين نحن ؟؟

لا يمكن ان نكون قد رجعنا ألف عام إلى الوراء ولم يهدأ الزبانية ولو يوماً واحداً ؟؟) .

وفى تلقائية الحزن والألم بدأ الزملاء فى كل عنابر السجن فى إحتفالية الاستشهاد ، كل يعبر عن آلامه ومواجعه " أناشيد رثاء تحكى عن الذكريات مع الشهيد فى عمله وفى حياته الخاصة وفى ثقافته وزعامته الوديعة . واسترسل الزملاء وحتى الصباح بعد أن أغلقت حجرات العنبر ، والكل غير مصدق لما حدث وأختتم الليلة الزميل الشاعر محسن الخياط بقصيدة شبه مرتجلة سجل فيها للتاريخ :

مستقتلين
ولا عمرنا نرمى السلاح من يدنا
مستموتين
ولا عمرنا نضحك لأيام الجراح اللى ارتوت من دمنا
وإحنا كده
من صنع أوجاع الجياع المحرومين من شعبنا
وإحنا كده
من صنع أهوال النضال عد السنين من عمرنا
بنبدر حياتنا ع الطريق
ترويها أيام الضنا
تطرح هنا

لا جـلاديــن
ولا سفاحيــن
هيغيروا طعم الكفاح من بقنا
طعمه جميل .. زيك يانيل
زى الغدير اللى انسكب منه الدهب
وأنت تسيل .. وأنت يانيــل
تاخد وتدى أرضنا .

لم ينكفئ المعتقلون على انفسهم ولم تسيطر الكارثة على عقولهم ، وكان لابد من تخطى ذلك ، فإذا كان هناك مخطط لاغتيال تفكيرهم واضمحلاله وسيطرة البوار على عقولهم .. وإذا كان لابد من خطة للمقاومة ، وإن كانت هذه الخطة ولحظة الأمل دائماً تلوح فى الأفق فى كل يوم وكل ساعة وحتى يقاوم العقل متاعب الجسد المعذب .. لقد كان استشهاد شهدى عطية ، إنقاذاً لحياتنا .. فلا بد وباصرار أن تسير الحياه مهما كانت المصاعب والمتاعب والآلام .

وبدأ الزملاء جميعاً رغم اختلافاتهم التنظيمية التى تطل برأسها بين حين وحين .. ولكن القيادة الحكيمة حملت على عاتقها مسئولية كبيرة ، مسئولية إعادة البناء .

لقد كان النظام وجميع أجهزته تعمل على إذابة إنسانية المعتقل والقضاء عليه فى بطء، لقد أذيب جسد فرج الله الحلو سكرتير الحزب اللبنانى فى أحماض سوريا على أيدى زبانية عبد الحميد السراج وزير الداخلية وقت الوحدة .. فإن فى مصر كانت عملية الإذابة المعنوية والجسدية البطيئة حتى لا تفوح عفانة رائحة الجريمة ، وإن كانت تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن فإن رائحة دماء شهدى عطية العطرة قد سيطرت على يوغسلافيا فأوقفت مخطط الإبادة .

حقاً لم يكن التعذيب النفسى والجسدى والروحى تعذيباً عشوائياً ولكنه كان يتم بأسلوب مدروس ومتخصص وعلى أيدى مدربه فى عالم المخابرات الأمريكية.

ولكن الإرادة المبدئية والصمود والصلابة والمقاومة وحب الحياه قد انتصر فى النهاية على كل هذه المخططات السوداء البشعة .

صــــورة

يوم الشهيد

هذه القصيدة .. مهداة إلى روح الشهيد المناضل **شهدى عطيه الشافعى** الذى استشهد على أيدى السفاحين القتلة بأوردى ليمان أبوزعبل فى الخامس عشر من شهر يونية عام الف وتسعمائة وستين .

وللقصيدة تاريخ .. ففى معتقل الهاكستب عام ١٩٥٢ وبعد حريق القاهرة وصلت إلينا بالمعتقل هذه القصيدة ضمن ديوان الشاعر العراقى الكبير **مهدى الجواهرى** .

وقمنا بكتابة هذه القصيدة وبالكربون على عدة نسخ كثيرة منها وزعت على كافة العنابر بالمعتقل .

وكان الفضل الكبير لارسال هذه القصيدة لنا سراً.. للكاتب الشاعر عبد الرحمن الخميسى المحرر بجريدة المصرى وقتذاك ـ لرفع الحالة المعنوية للزملاء بقصائد الجواهرى .

وبالبحث فى الأوراق القديمة بمكتبى ورغم مرور أكثر من عشر سنوات فقد عثرت عليها لإهدائها إلى روح البطل شهدى عطية .

يومُ الشهـيدِ : تحيـةٌ وسـلامُ ... بكَ والنضالِ تـؤرِّخُ الأعـوامُ
بك والضحايا الغُر يزهو شامخاً ... علم الحساب وتفخر الأرقام
بك والذى ضم الثرى من طيبهم ... تتعطرُ الأرضون والأيـام
بك يُبعثُ الجيلُ المحتمُ بعثُه ... وبك القيامةُ للطغاة تُقامُ
وبك العتاةُ سيُحشرون وجوههُم ... سود ، وحشوُ أنوفهم إرغام [1]

(١) من االرغام : وهو التراب

صَفاً إلى صفٍّ طَغاما لم تذُقْ   ما يجرَعون من الهوان طغَام(١)

ويُحاصرون فلا وراءُ يحتوى   ذنبًا ، ولا شُرطا يحوز إمام

وسيسألون من الذين تسخَّروا   هذى الجموع كأنها أنعام(٢)

ومَنِ استُبيح على يديهم حقُّها   هدراً ، وديست حرمةٌ وذمام

ومَنِ الذين عَدَوا عليه فشوَّهوا   وجه الحياة فكدَّروا وأغاموا

خلَص النعيمُ لهم فهم من رقَّةٍ   وغضارةٍ بيضُ الوجوه وِسامُ

وصفا لهم فلكُ الصبا فتلألأوا   فيه كما تتَلألأ الأجرام

يتدللون على الزمانِ كما اشتهت   شهواتُها قُبُ البطونِ وحام(٣)

ومداسُ أرجلهم ونهْبُ نعالهم   شَعبٌ مهيضُ الجناحين مُضامُ

يُمسى ويُصبح يستظلُ بخدنه   بقَرالزريب ، ويرتعى وينامُ

سيحاسبون ، فإن عَرَتهم سكْتةٌ   من خيفةٍ فينطقُ الآثامُ

سيُنكسُ المتذبذبون رقابَهم   حتى كأنَّ رؤسهم أقدامُ

★ ★ ★

يوم الشهيد ! وما الخيالُ بسادر   بئس الخيالُ تقودُه الأوهام(٤)

الشعرُ - يا يوم الشهيد تجاربٌ   وبلاؤها ، لا لؤلؤٌ ونظامِ

كذبا يُخيلُ أنٍّ بارقةَ المُنى   تنجابُ منها وحشةٌ وظلَامُ

أو أن بالنَّزْر اليسير من الدما   سيبُلُ من عطش الطغاة أوام(٥)

أو انَّ متعوباً ستسعْى نحوَهُ   عما قريبٍ راحةٌ وجمام(٦)

---

(١) الطغام : السفلة من الناس .   (٢) تسخروا :أى سخروا بالضعيف .
(٣) القب : جمع أقب وهو البطن الضخم . وحام من الوحم وهو ما يعرض للمرأة الحامل من شهوة .
(٤) السادر : المتحير.   (٥) الاوام : شدة العطش .   (٦) المتعوب : أراد به التعب

حُسبانُ ذلك للشهيْدِ خيانةٌ ... ولما تفجَر من دمٍ إجرامِ
ولتلك مدَعاة سينصرُ عندهَا ... عارُ النكوصِ ويُخذلُ الإقدام
ولذاك إيهامٌ يضلّلُ أُمةٌ ... وسلاحُ كلّ مضلّلٍ إيهام
عظُمتْ محاولةٌ وجلَّ مرامُ ... أفباليَسير من العَناءِ تُرام

★★★

يوم الشهيدِ ! طريقُ كلٍّ مناضلٍ ... وعرٌ ، ولا نُصُبٌ ولا أعلام
فى كل مُنعطَفٍ تَلوحُ بليةٌ ... وبكلٍّ مُفترقٍ يدبُ حِمام
وحياضُ موتٍ تلتقى جَنَباتُها ... وعلى الحياضِ من الوفُودِ زحِام
وقِباحُ أشباحٍ لمُرتعِدى الحشَا ... بَرَمٌ بها، ولمُحرِبين هُيام(١)
بك بعد مُحتدمِ النضال سينجلى ... مما ابتدأتَ من النضالِ ختام
سيُجازُ شَهرٌ بالعناء وآخَرٌ ... ويُخاضُ عامٌ بالدماءِ وعام
ستطيرُ فى أفُقِ الكفاحِ سَواعدٌ ... وتَطيحُ فى سُوحِ الكرامة هام
ستَثور من رهجِ اللُهاثِ عجاجةٌ ... ويهبُّ من وهَجِ الشّكاة قَتامُ(٢)
سيُعالَجُ الباغى بنَضْحٍ من دمٍ ... حتى تُسكّنَ شَهوةٌ وعُرام(٣)
لا بُدَّ من نارٍ يروح وقُودُها ... منّا ومنه غاربٌ وسنَام(٤)
وتُنيرُ منها الخابطين دروبَهم ... من بعدِ ذلك جَذوةٌ وضِرام
إذ ذاك يُصبحُ بعدَ طُول متاهةٍ ... بيدِ الشُّعوبِ مقادةٌ وزِمام

---

(١) المحرب : المحروب والحريب أى الذل نزل به الحرب وهو الهلاك والحرب أن يؤخذ مال الرجل كله .

(٢) العرام : القسوة والشدة . (٣) الرهج : الغبار . والقتام : الغبار ايضاً.

(٤) الغارب : ما بين السنام إلى العنق أو الكاهل .

تَبـــاً لدولةِ عـاجزين توهَّـــموا ... أنَّ الحـكومـةَ بالـسِّياط تــدام

والوَيْـلُ للمـاضين فى أحلامِهم ... إن فــرَّ عن حلمٍ يـروع منـام

وإذا تفـجَّرت الصدورُ بغيظـــها ... حنَقًا كـما تتـفجـرّ الألغـام

وإذا بهم عَـصْفًا أكيلاً يرتمـــى ... وإذا بما ركـنوا إليـــه رُكـــام

وإذا بمـا جَـمَعَ الغُواةُ خُشَـــارةٌ ... وإذا عُـصــارةُ كلِّ ذاك أثـــام(١)

★★★

يومَ الشهيدِ ! لسوفَ تُعقَبُ فى غدٍ ... يومًا تَحـارُ بكُنـهه الأفهـــــام

ولسـوف نَجـهل ما يقلُّ بكُنْهـــه ... قَــدَرٌ ، ومـا تتـمخَّضُ الأيَّـــام

ولسوفَ يُصبحُ ما نحـارُ بكُنْهـه ... إن حــانَ حينٌ ، واسـتتم تمـام

أمــراً كـمـا قالَ البديـهةَ قائــــلٌ ... النـورُ نـورٌ ، والظـلامُ ظـــلام

إنــى لَيـخنقُنـى الأسَى ويهزُّنـــى ... مـا لاحَ طفلٌ يحـتبى وغُـــلام

علمــا بأنَّ دمـاءَهم ليست لـهـــم ... وبـأنهـــا للجـــائعين طَـعـــــام

للنـاسِ بعدَ اليومِ ميلادُ الفتـــى ... ومَمـــاتُه ، ورَضــاعةٌ وفطـــام

يومَ الشهيـد ! بكلِّ جارحةٍ مشـى ... داءٌ تُعـاوِرُه الزَّمــان عُـقـــــام

تَعِبَ الأساةُ به ، وجافـى أهلـه ... يأسَـــا نـطاســـىٌ به عَـــلاَم(٢)

وتعسَّـــرَ الإبلالُ حتـــى تنتـفى ... منـه الجـذورُ ، وتُقطَعُ الأجذام(٣)

يومَ الشهيـد ! بكَ النُـفوس تفتحت ... وَعيًـا ، كما تتـفتَّحُ الأكمـــــام

كـاد الضعيفُ يشُكُّ فى إيمانـــه ... والصبـرُ كـاد يشلُه استـسلام

طـاح البلاءُ بخائرٍ فى معـــرَكٍ ... أشبٍ تطيشُ بهـوله الأحـــلام(٤)

(١) لخشارة : الردئ من كل شئ والعجز تضمين من بيت لأبى نواس.
(٢) الأساة : جمع أس وهو الطبيب . والنطاسى : الحازق الماهر .
(٣) الأجذام : جمع جذم (بكسر الجيم) ، وهو الأصل .
(٤) الأشيب : المختلط .

وانجـاب عـن متردّدين طـلاؤهـم ... وانزاح عن مُتـربّصـيـن لئـام

وأُغصّ قـومٌ بالسكوت، وأفـصَحَتْ ... عن غيـر مـا عُـرِفَتْ به أقـوام

وتمسَّك المتـشبثون بجـاحــــمٍ ... جمَـرَاتُه تُشْـوى بها الأقـــدام

وتراكم الصبَـرُ الجميلُ بساحــةٍ ... من حـــولهـــا تتراكــمُ الآلام

★★★

شعـبٌ يُجـاعُ وتُسـتدَرُّ ضـروعُه ... ولقد تُمـارُ لتُحـلبَ الأغنـــام[1]

وأُمـدَّ للمُسـتهتـرين عنـانُـهـــم ... فى المُخـزيات فأرتَعوا وأسـاموا[2]

وتَعَطّلَ الدستـورُ عن أحكامــــه ... من فرط مــا ألوَى بـه الحكّام

فالوعــى بـغيٌ، والتـحرر سـبـةٌ ... والهمـس جُـرْمٌ، والكلامُ حـرَام

ومُدافِـعٌ عـمـا يدين مُـخـــرِّبٌ ... ومطـالِـب بحـقـوقـه هـــــدّام

★★★

ومشَى بأصـلاب الجمُوع يهُزُّهـا ... الجَـهـلُ والإدقـاعُ والأسـقـام

وهَوَت كـرامـاتٌ تولّت أمـرهـــا ... خـطـطٌ ، تولّى أمـرهَـا إحكـام

فكرامةٌ يُـهزى بهـا، وكـرامـــةٌ ... يُرثَى لهـا، وكـرامةٌ تُسـتـام[3]

وانصـاع يغـزُو أهـلَه وديــــاره ... جيشٌ من المـتعطّلين لُـهـــام

وتَصافقَت حُجَـزٌ على مُتحـرِّرٍ ... ومفكِّرٍ فتحطَّمـت أقــــلام

(١) تمار : تقات وتغذى . والمعنى أنه حتى الأغنام والمواشى تقات وتغذى جيداً قبل أن تحلب .
(٢) ارتعى وأسام : بمعنى رعى .
(٣) استامه : سامه ذلا .

صـــــورة المقـــــاومـــــة...؟!

وبدأ الزملاء يتشاورون كيف تكون البداية ومرحلة التقاط الأنفاس ، ودارت المناقشات لكل فريق رأيه ولكل أصول تاريخية يسارية رأى ولابد وأن يختلف عن التنظيم الآخر (وهذه إحدى مشاكل إليسار فى مصر منذ قديم الأزل) .الاراء مختلفة دائماً وقليلاً ما تتوحد الكلمة .

ولكنها توحدت الآن .. فالمحافظة على بقايا صور الزملاء بعد الجوع والتعذيب ، تحتاج إلى دفعة غذائية صحية فورية ، وإن كان الزملاء الأطباء قد بذلوا جهداً رائعاً فى المحافظة على صحة المعتقلين وفى حدود الإمكانيات المتاحة .. إلا أن بعضهم أصابه الهزال والأمراض القاتلة بسبب الجوع وضعف مقاومة الجسد .. لدرجة أن مرض الدوسنتاريا وبدون علاج أو تغذية ولفترة طويلة كان يؤدى للوفاة .

ولقد حدث ذلك مع مدرس الثانوى الزميل عبد القادر مفتاح من بنى سويف والذى فارق الحياه بسبب الدوسنتاريا بعد الإفراج عنه بأيام عندما ساءت حالته ، وقبله سقط شهيد آخر العامل على متولى الديب بالدوسنتاريا القاتلة ومات المهندس الشاب رشدى خليل بالحمى وتمزقت أمعاؤه وبعده المحامى أحمد البكار من الاسكندرية نتيجة سرطان المعدة والذى لم يجدوا له علاجاً .

لذا كان لابد من برنامج غذائى وتنوع فى الطعام وخاصة تواجد الخضروات التى كانت عملة نادرة غير متاحة .

وكان الرأى الاعتماد على الجهود الذاتية بداخل السجن . وكان قرار العمل بمزرعة السجن هو الحل لتدارك هذه المشكلة ، لقد كان قبل ذلك العمل بالصحراء الجرداء لنقل أتربة أو صخور ورمال من مكان لآخر بدون فائدة والآن العمل فى المزرعة التى يمكن تطويرها وتجديدها لتعطى ثماراً توقف التجويع .

وشمر الرفاق الزراعيون عن سواعدهم ومن لهم أصول ريفية أو زراعية أو فلاحون ..وبعزيمة لا تعرف الملل نظمت صفوفهم ، وطبعاً تحت إشراف الحراسة وحملوا الفؤوس والمقاطف إلى أرض المزرعة لتفقد موقعها وطبيعة أرضها والمياه التى ترويها وبمعدات يدوية بسيطة للغاية ، فأس وكوريك وجهد وعرق تم التخطيط لجزء من المزرعة حفرت قنوات ومساقى للرى وأحواض لكل زراعة .وكانت المشكلة أن العين القريبة من المزرعة والتى لا بد من الاعتماد عليها فى الرى كانت مياهها ساخنة من باطن الأرض وكانت تزداد سخونتها فى الصيف الحار ، وتفتقت العقول الواعية عن طريقة مستحدثة لتبريد المياه .. وهى أن تحفر من مصادر عين المياه مساقى طويلة رفيعة ملتوية تجرى فيها المياه المتدفقة حتى تبرد ثم فى نهاية هذه المساقى تخزن المياه وتفتح على كل حوض بقدر حاجته ، وكانت عملية تبريد المياه عملية شاقة بين حفر وردم لتغطية الأراضى الصلصالية برمل ناعم يخترق التربة لتصلح للزراعة ومشاكل كثيرة .. السماد مثلاً وكان السماد البلدى من مجارى السجن مصدرا رئيسيا !!

والتقاوى ، وافقت الإدارة على ورودها فى طرود من أهالى المعتقلين أو ما يتم شراؤه من الواحات الخارجة أو مايرد مع السجانة بعد عودتهم من أجازاتهم المقررة . وكان عندما يبدأ الاخضرار بخضروات بسيطة .. فجل .. كرات .. سبانخ .. رجلة ..جرجير كان الإنتاج يوزع على كل العنابر بالتساوى وأيضاً حصة منه لرجال الحراسة والسجانين مما شجعهم على التعاون فى إحضار البذور والتقاوى . وعندما ينتهى العمل بحوض من الأرض ينتقل إلى حوض آخر فى دأب وإصرار ، وأحس الجميع بفضل العمل بالمزرعة الآن .

وكانت مزرعة اليسار مميزة فى إنتاجها عن مزرعة السجن الرسمية والتى كان جماعة الأخوان المسلمين يسيطرون عليها ويزرعونها فى تأفف وملل لأنهم طبقة معينة مميزة ليس للزراعة مكان فيها .

ووصلت الخضروات إلى مطابخ السجن ولأول مرة نأكل خضروات معروفة

نوعها ومتعددة ولأول مرة أيضاً نرى الفجل والجرجير ثم الطماطم بوفرة ، أما البصل فكان له قصة حتى يزرع فى هذه الأرض الصلبة وعدم توفر التقاوى .

وعندما تم إنتاج أول بصلة فى المزرعة ذاع خبر إنباتها .. وكانت كما يقول المثل الشعبى .. بصلة المحب خروف !! أو كما قال الشاعر الفلسطينى معين بسيسو .. رفيق يؤمن بحتمية الاخضرار فى هذه المرحلة الرملية ، كمواجهه لا بد منها لبرنامج التجويع حتى الموت .

وانتصر الزملاء فى معركة المزرعة كما انتصروا فى معركة البقاء على قيد الحياه .

مقاومة فكرية

وصاحبت المقاومة بالعمل فى المزرعة وفى نفس الوقت تقريباً .. كان لابد من المقاومة الفكرية والثقافية وتنمية القدرات العقلية التى أريد لها أن تتوقف وتبلى، وبدأت فى سرية تامة تكشف شقوق الحوائط وتحت الأرض وفى مخابئ سرية لا تخطر على بال إنسان بفضل ودأب الزملاء الذين أمضوا بالسجن مدد طويلة بسجن جناح (كان مبنياً من الخيام وقبل النقل إلى سجن المحاريق) .

وبدأت تظهر دفاتر ورق « البفرة » التى تحتوى على مؤلفات عالمية مكتوبة بخط إليد على البفرة ومحفوظة ومغلفة بمهارة فائقة بالنيلون تحت الأرض .

ظهرت مؤلفات لينين وماو وشواين لاى وروائع القصص العالمية والقصص والمسرحيات وحكايات طويلة عن بطولات سجلها الزملاء واحتفظوا بها مع أقلام صغيرة وأوراق ورسائل سياسية وتقارير .

وبدأت الندوات تتسع بين الغرف وبعضها فى العنبر الواحد بعد ترك الأبواب مفتوحة على الزملاء والتزاور وتبادل الأمكنة عندما تكون هناك وليمة شاى ساخن أو شيء من الخضروات الطازجة التى يتفنن الزملاء فى طهيها وإعدادها

(بمزاج) وبدأ أساتذة الاقتصاد ورؤساء النقابات العمالية المحبوسون فى سرد مذكراتهم عن النضال العمالى ، والآخرون عن النضال فى الريف ، والصحفيون عن خبراتهم ، والأدباء عن نشاطهم الثقافى خارج السجن وكل من لديه خبرة فى مجال ما ، ويدور النقاش ، وساعد على ذلك بقاء إضاءة الكهرباء تعمل طول الليل بالحجرات بدلاً من الإظلام الكريه ، وفى النور كانت الفرصة متاحة للكتابة والقراءة (فى السر طبعاً) لأن القلم والورقة مازالت من الممنوعات أو المحظورات.

وأذكر أنه فى يوم ما رغم الانفراجة التى حدثت بعد استشهاد شهدى عطية ، أن الزميل غنيم مصطفى غنيم كان يحتاج لنظارته الطبية الموجودة بملابسه بمخزن السجن . وسمح له بفتح المخزن تحت إشراف المأمور طبعاً وعثروا على حقيبة ملابسه وعندما أخرج الزميل نظارته وجدوا فى ملابسه التى حضر بها إلى السجن وجدوا قلماً ونال الزميل بعض الركل والضرب والصفع.. لماذا ؟ لأنه يحمل قلماً فى المخزن !!

أعمال مسرحية

ومن باطن الأرض خرجت مخطوطة ورق البفرة المدون عليها (مسرحية حلاق بغداد) والتى كتبها بالسجن الكاتب المسرحى الفريد فرج ، وقرأها علينا مساء يوم هادئ.

وظهرت أيضاً مسرحية الخبر التى كتبها الزميل صلاح حافظ (هذه المسرحية كانت تصور حال الصحافة فى مصر وما يحدث فى كواليس التحرير والتلميحات فيها إلى صحافة مصطفى وعلى أمين وقد عرضت بعد انتهاء عهد المعتقلات على خشبة المسرح القومى بالقاهرة ، ولازمها سوء الحظ عند عرضها ، ولكن عند عرضها بالمسرح القومى بالاسكندرية نجحت نجاحاً باهراً ، .. وفى حديث لكاتب هذه السطور مع الزميل صلاح حافظ فى مقاله معى بمجلة الأرض التى كنت أشارك فى تحريرها قال إن مسرحية الخبر كانت (ملغمة) بالأفكار والآراء وكانت تحتاج إلى بعض التفاريح حتى يلتقط المتفرج أنفاسه أثناء العرض

ولا يكون متوتر الأعصاب بشكل مستمر لمدة ثلاث ساعات طوال العرض المسرحى.

وظهرت أيضاً مسرحية من مخبأ ما وهى مسرحية العتمة للزميل شوقى عبد الحكيم وفكر الجميع بضرورة وجود خشبة مسرح تعرض عليها هذه الأعمال على مستوى السجن كله ، وبصعوبة شديدة تم الاتفاق مع إدارة السجن على بناء المسرح بشكل مبسط، وساعد وجود المهندسين والفنانين من الزملاء فى أعمال إنشائه ، وكان لا بد من فتح عنبر السجن ليلاً لمن يقوم باعداد المسرح ، وبدأ إعداد الطوب بالجهود الذاتية وبمواصفات معينة ، وبقوة إرادة الزملاء تم بناء المسرح وجهز بألواح من الخشب والقواطيع والبطاطين واللوحات الفنية ، قاد العمل الفنى فيه الزميل الرسام حسن فؤاد وسعيد عارف والفنان الشاب الجريتلى (والذى ذهب بعد الإفراج عنه إلى رحله فى لنش بالسد العالى ليرسم لوحات طبيعية عن النهر العظيم .. وللأسف الشديد اختل توازنه وسقط فى النيل غريقاً) .

وبعد أن تم الاستعداد بأدوات الماكياج وملابس بقدر المستطاع إنتاج يدوى، تم عرض مسرحية حلاق بغداد على هذا المسرح المتواضع جداً حضر الحفل مأمور السجن وضباطه والحراس والسجانون وكل الزملاء وأحسوا جميعاً بسعادة لهذا العمل الفنى المبهر، وطلب المأمور إعادة العرض مرة أخرى بعد أيام لأنه سيدعو بعض أهل الواحات من المسئولين لمشاهدته وقد كان .

وقد كانت سعادة السجانة واضحة والانبهار بما يرونه ، وكان أحدهم يتهامس مع جاره .. (بقى دول الناس اللى كنا بنضربهم بقسوة منذ مدة ؟؟) وعلامات الاستغراب والاستفهام تسيطر عليهم ، وملت على جارى الزميل غنيم أو (نور إعدام) كما كنا نسميه، لأنه متشائم للغاية وأن مصيرنا هنا إعدام – إعدام ، ولفت نظره إلى أحاسيس السجانين والضباط وقال لى :

- يازميلى التناقض الرئيسى .. أصبح تناقضاً ثانوياً وبس .

وفى الأعمال المسرحية اكتشف الزميل الفنان حسن فؤاد المواهب التمثيلية للزميل **على الشريف** (والذى قدمه بعد ذلك فى فيلم الأرض) ونجح بعدها بالمشاركة فى عدد من الأفلام بشخصية متميزة .

ولأن الزميل على الشريف كان يتمتع بجسد ضخم وعضلات مفتولة ووجه جامد التقاطيع لذا أسميته بينى وبينه فقط أنت الزميل على بمب ، لأنك تصلح للعرض فى سرك مع دور مروض الأسود ، وكان يضحك ويبتسم بطيبة قلبه الواضحة ويقول لى أمش من جانبى حتى لا آكلك . ! واشترك كل من لديه من الزملاء موهبة العمل المسرحى .

أخبار أخبار

كان لمبادرة الزميل عبد الستار الطويلة دور أكثر من رائع فقد شكل مع مندوبيه شبكة أخبار عبد الستار واختصر أسمها إلى وكالة (واس) للأخبار .. يحاول الزميل عبد الستار طوال اليوم الحصول على الأخبار بشتى الطرق من قصاصات صحف ومن أفواه الحراس ،. ويبدو الأمر أن هناك داخل مخابئ الغرف راديو ترانزستور صغير الحجم أمكن تهريبه ، وكان يستمع له مسئول الأخبار ومسئول الأمان ثم تجمع كل الأخبار ويسير الزميل عبد الستار فى طرقات العنبر ويعلن واس واس ويتجمع الزملاء لسماع آخر الأخبار . وبهذا العمل الرائع فعلاً كان يتابع كل السجن أخبار الخارج والداخل ، فهو نشرة أخبار متنقلة شفوية بلا ورق أو أقلام !!

ونشطت عملية إعداد مجلات ناطقة تقدم مرة أسبوعياً وقت الظهر تماماً ، وكان لكل اتجاه سياسى مجلته التى توضح رؤياه فى الأحداث .

ولكن كانت (مجلة الطريق) والتى كانت تصدر عن مجموعة المثقفين والعمال وكافة الاتجاهات السياسية مجلة تسمع ولا تقرأ يُذكر أن إصدارها كان باشراف الزميل فيليب جلاب وفتحى خليل والزميل إبراهيم عامر الصحفى السابق

بجريدة الجمهورية ويشترك فيها سعد التائه ومحمود القويسنى وفتحى عبد الفتاح ..
وكان الزميل صبحى الشارونى يقوم بالإخراج الفنى بواسطة فواصل موسيقية مستخدماً صفارته بفمه والتى يجيدها بتنويعها وتنغيمها .

وكنت أقدم فيها كلمات مقدمة العدد بعنوان (حكمة العدد) وهى كلمات نقد ساخر من تصرفات أو أعمال بعض الزملاء بالسجن .

وللتاريخ (الزميل إبراهيم عامر بعد أن أفرج عنه بالمعتقل لم يتم عودته بالصحافة المصرية ولكنه سافر إلى بيروت ليعمل فى إحدى الصحف هناك ـ ولكن الصراع السياسى والأتجاهات المتناقضة فى بيروت فجرت مبنى الصحيفة التى كان يعمل بها ومات شهيداً) .

سهرات غنائية

وبداخل العنبر مرة كل أسبوعين تقريباً كانت تعد سهرة غنائيه للمواهب الصوتية ، واكتشف الزملاء ولأول مره أن للزميل المهندس محمد حمام النوبى الأصل صوتا رائعا مع زملائه من ابناء النوبة . وكانوا يقدمون سهرة نوبية مع بعض الحركات والتموجات الجسدية .. ولقد كان الزميل محمد حمام فعلاً صاحب موهبة وضحت تماماً بعد الافراج عنه وبدأ يغنى فى التليفزيون وكانت أشهر أغانيه:

يابيوت السويس يابيوت مدينتى   أستشهد تحتك وتعيشى أنتى

وكانت أجمل سهرات الأغانى هى سهرة المواويل الحمراء التى كان يغنيها الزميل عم نوح وهو أحد العمال المخضرمين فى صناعة النسيج وهو من محافظة المنصورة بلد الفن والجمال ورغم كبر سنه إلا أن حنجرته الذهبية كانت تصدح مع الليالى والمواويل وكان أشهرها موال التراث :

طالعة من بيت أبوها   رايحة بيت الجيران

لابسه شبشب قطيفة والشغل لمحمد عثمان

ويدورالصخب الظريف عندما يبدأ عم نوح فى غناء مواله الأحمر :

طالعة من الحمام شبه الخوخة

والبوسة من الشفة تجيب الدوخة

ليل ويا ليالى وآه

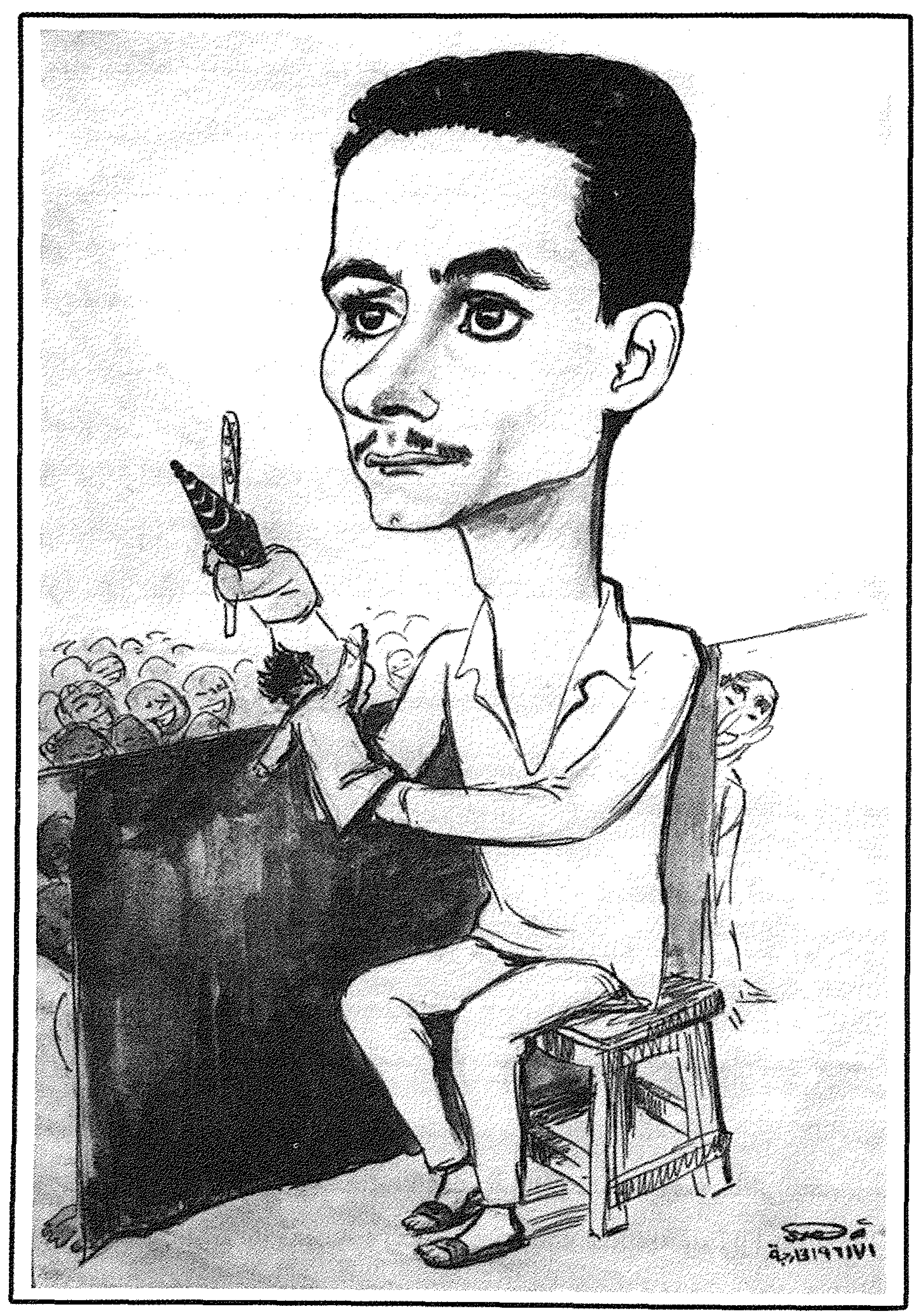
ويدور بمواله حول وصف جسد محبوبته .. فى الرقبة والصدر والبطن والأرجل والأرداف . ويشتد إلحاح الزملاء على إعادة مقطع أغنية البوسة من الشفة تجيب الدوخه دلالة للمعاناه العاطفية للجميع والذين حرموا من رؤية ألوان فستان لأى سيدة ما بين أبو زعبل والواحات لعدة سنوات ، وتنتهى السهرة بأحلام سعيدة يارفاق وتصبحون على خير.

الأراجوز فى الواحات

كان لكاتب هذه السطور خبرة طويلة فى فن الأراجوز عندما كنت عضواً بإدارة الوسائل التعلمية بالفيوم وقمت بتنفيذ خطة تعليمية بالأستعانة بفن الأراجوز فى تدريس بعض المواد التعليمية فى قرى محافظة الفيوم وخاصة بالوحدات المجمعة الحديثة التى أنشئت وقتذاك ، وقمت بتدريس طريقة صنع الدمى من الصلصال والقطن والشاش والنشا وتفريغ رءوس الدمى من الصلصال بعد جفافه ثم تعد الملابس لكل شخصية منها .

ونجح الأراجوز فى علاج بعض مشاكل الريف الصحية والتعليمية ، وقد كان لى كتاب عن فن الأراجوز .

وقد كان من أهم الإنجازات التعليمية عندما كنت أعمل ببلدة (قلهانة) إحدى قرى محافظة الفيوم وعلمت أنه يوجد بهذه القرية بئر مياه يتبرك به أهالى القرية عند مرضهم وخاصة الأطفال فيأخذون من مائه يمسحون ويغسلون به وجه الطفل المريض ليشفى ! وعندما حصلت على زجاجة مياه من هذه البئر وكانت



(أراجوزى) فى الواحات بريشة الرسام زهدى

رائحتها رديئة ونفاذة ، فأرسلتها إلى معامل وزارة الصحة وجاءت نتيجة التحليل أنها مياه مختلطة بمياه مجارى القرى !!

وقمت بحملة بواسطة الأراجوز بمبنى المدرسة كل أسبوع يحضرها أهل القرية وشرحت بطريقة الأراجوز وببعض الأزجال التى تمت كتابتها عن مضار البئر وأنه ملوث ولا يصلح للتبرك به وأن المستشفى هو المكان المعد للعلاج ، وقد تم فعلاً ردم هذه البئر وبواسطة أهالى القرية أنفسهم .

وبدأت فى الواحات صناعة بعض الدمى لتمثيلية بسيطة من نوع الفودوفيل الضاحك عن فلاح يملك بقرة ولديه ابنة شابه تنتظر عريساً لرؤيتها ، والفلاح أيضاً ينتظر جزارا لشراء البقرة وتختلط الأحداث بين الفلاح والجزار والخطيب وبين البقرة والعروس ، كل يبحث عن مواصفات ما يريده ، ومتناقضات بين العروس والبقرة تثير الضحك والابتسام، وتم عرض المسرحية الأراجوزية فى إحدى ليالى الصيف بعنبر المعتقل حضره ضابط المعتقل وبمصاحبة بعض الأغانى مع العرض، ونجح الأراجوز فى زرع الأبتسامه على الوجوه المكدوده .

وأذكر بأن الزميل **صلاح حافظ** بعد انتهاء العرض قال لى (أراجوز فلاحى من الفيوم) حسب اللغة .

وتذكرت أن للفيوم أبناء فنانين منهم صلاح حافظ نفسه فهو ابن الفيوم والكاتب المسرحى شوقى عبد الحكيم فهو من أبناء مدينة سنورس / فيوم ومهندس الديكور مصطفى كامل الذى صمم ديكور مسرحية الليلة الكبيرة والرسام إدريس البوشى ومن الرعيل القديم كان المخرج أحمد بدرخان والممثل الكبير يوسف بك وهبى .

وفى مناسبة أخرى أمسك الزميل السينارست رءوف حلمى بخيوط فن الأراجوز والذى سبق أن قدمته ، وكتب له تمثيلية متكاملة وحوارا على أكثر من فرد وأشترك بنفسه فى التمثيل . وهكذا كان لفن الأراجوز تواجد بمعتقل الواحات .

الأعمال الفنية

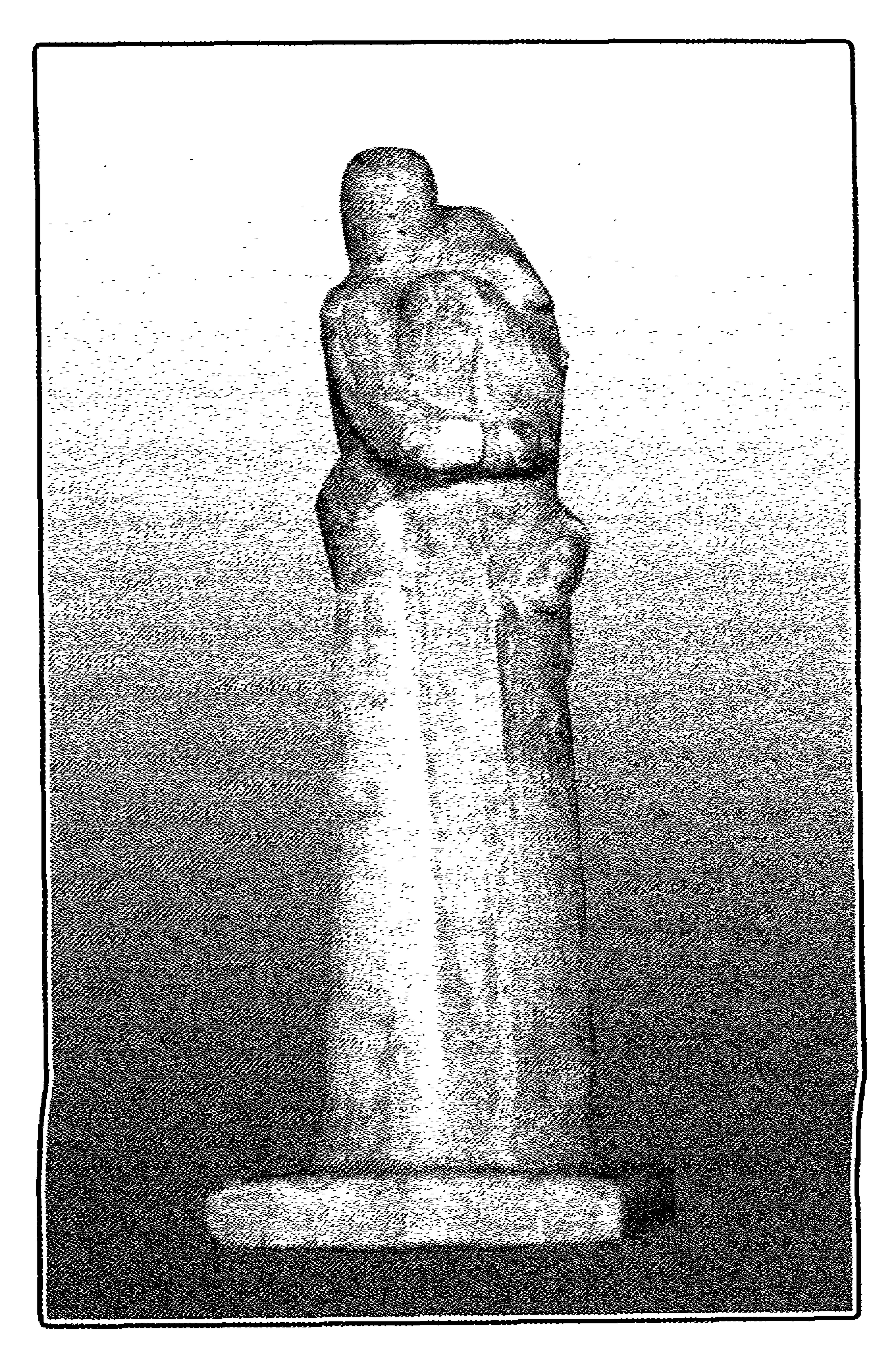
وبدأ الزملاء الفنانون فى محاولة ممارسة أعمالهم الفنية التى توقفت فى فترة المتاعب ، وفى ركن بجوار سور المعتقل رصت بعض العروق الخشبية التى أمكن العثور عليه بالسجن وحفر لها فى الأرض مكان مع بعض الأسمنت لتثبيتها .. ووضع لوح من الزنك المضلع وعلب الكرتون على السقف لمنع حرارة الشمس ، وباستخدام نصف برميل فارغ من المطابخ وبعد غسله وضع به طينه صلصالية متوفرة فى هذه المنطقة الصحراوية وبعض المياه لعجن الصلصال وتغطيته بخيش أو قماش مبلل لمدة يومين أو ثلاثة حتى يختمر الصلصال وتذوب حبيباته .

وبدأ العمل به من الزملاء سعيد عارف وصبحى الشارونى وداود عزيز وكاتب هذه السطور ، واكتشفت أن نوع الحجر الموجود بالواحات هو حجر جيرى سهل التشكيل والنحت فيه وقمت بعمل بعض التشكيلات النحتية الجميلة .. اهتم بها بعض ضباط العنبر وأعجبتهم فأهديتها لهم .

وبأدوات بسيطة للغاية قطعة صفيح ، مسمار، خشب رفيع ، كان يتم التشكيل للتمثال .. وقمت بعمل تمثال بعنوان (لقاء) بين رجل وامرأة أو زوج وزوجته أو حبيب وحبيبته فى احتضان رومانسى جميل والسيدة تضع رأسها على كتف الرجل فى تناغم مع الجسد السامى ، وأثار هذا التمثال إعجاب الجميع وعلى رأسهم الزميل حسن فؤاد وصلاح حافظ وطلبوا عمل نسخ منه وسيقومون بموافاتى بالجبس الطبى من عيادة السجن لصب التمثال وبعد عمل قالب لصب عدة نسخ وفعلاً صنعت القالب وتم صب عدة نسخ منه و وزعت على الأصدقاء وعلى أحد الضباط الذى كان يتصف بالانسانية واحتفظت بنسخة لى . ولكن فى لحظة تفتيش سخيفة قام السجان الأرعن بتفتيش ملابسى وحاجاتى ووجد التمثال فنظرإليه وقال ايه المساخيط دى وألقى به على الأرض فتحطم وبعد إنتهاء نوبة التفتيش قمت بتجميع بقاياه وعالجتها بطريقة فنية حتى عاد التمثال مرة أخرى إلى وضعه .

ثم قمت بتهريبه من السجن إلى الأسرة بالفيوم .

ومازلت أحتفظ به ومدون بقاعدته توقيعى وتاريخ صنعه بالواحات .



لقـــاء

تم صنع هذا التمثال بمعرفتى فى سجن الواحات وتم تحطيمه فى حملة تفتيشية، وأمكن إصلاحه وترميمه وتهريبه من السجن، مع عمل نسخ منه لبعض الزملاء.

معارض فنيــة

وفى مناسبات عديدة وطنية أو سياسية كانت تعلق البطاطين على حوائط الممر بين الحجرات بالعنبر وعليها رسومات منفذة بالقطن الطبى الذى كان يمكن الحصول عليه من عيادة السجن فى لوحات السلام وأغصان الزيتون والحمام الطائر وتروس المكن وغيرها .

وعندما سمح بوصول خطابات من عائلات المعتقلين والتى كانت تحتوى فقط على صور الأطفال والعائلة بدون رسائل بداخلها مكتوبة .

ووصلت صور كثيرة لأطفال المعتقلين فقمنا بعمل معرض لها ولصقت الصور على البطاطين ببعض النشا وكانت مسابقة لأجمل طفل أو طفلة وفزت فيها بأجمل ثلاثة أطفال فى لقطة معبرة وصلتنى من أمهم ، وكانت الجائزة نصف علبة حلاوة طحينية من الكانتين أو سيجارتين لمن يريد الاستبدال .

صــــــورة

من الواحات لمعتقل الفيوم
ياقلبي لا تحزن !!

الزمن : أغسطس ١٩٦١

سرت إشاعة بين المعتقلين لحدوث بعض الإفراجات عن طريق أحد موظفى السجن ، ويبدو أن هذا الموظف المدنى والذى يسكن بلدة الواحات الخارجة ويحضر إلى قرية المحاريق يومياً .. يبدو أن له إتصالات مخابراتية مدفوعة الأجر ، لأن ما ينشر فى الإذاعات العالمية ووكالات الأنباء الأجنبية من أخبار وحوادث وتعذيب وقتل ، وكأن شاهد عيان هو ناقل الأخبار خارج السجن والذى كان يحيطه الحذر والأسلاك من كل جانب ، فكيف لوكالة أنباء عالمية أو صحيفة دولية أن تعرف وبالتفصيل ما يحدث بداخل سجن الواحات من تعذيب تفصيلياً للمعتقلين ، وأعتقد أن هذا ما حدث معى عندما سقطت فى إغماءة طويلة بصحراء الواحات نتيجة الجوع مع أعمال السخرة والإجهاد والإبادة المنظمة . بأن أذيع فى نفس إليوم (كما علمت بذلك بعد الافراج) خبر وفاتى بالجبل وبالاسم الثلاثى ..إلى جانب أخبار أخرى يؤكد وجهة نظرى فى ذلك .

وفعلاً حدث هرج ومرج كما يقولون ، وأعلنت أسماء خمسين معتقلا سوف يغادرون الواحات فى الصباح ومعهم حاجاتهم الشخصية وما تبقى من ملابس يرتدونها قبل سفرهم ، وذلك كما يشاع للافراج عنهم .

وكانت صدمتى كبيرة عندما عرفت أن هذه الترحيلة ستتم إلى معتقل العزب بالفيوم وما أدراكم ما هو معتقل العزب ذو الشهرة الدموية والذى أختتم بمحاولة قتل المناضل فوزى حبشى قتلاً حقيقياً بالسياط بمعرفة زبانية جهنم .

وحزنت لأن معتقل الفيوم سيئ السمعة وأبشع من الواحات ، ولقد قاست

الدفعات السابقة من المعتقلين به أسوأ أنواع العنف ، ولما سئلت بصفتى من أبناء محافظة الفيوم والذى يوجد به هذا المعتقل ، أبديت التشاؤم من هذه الترحيلة .. لا إفراج ولا (دياولو) . وفى صباح يوم حزين لفراق الزملاء بالواحات وإلى معتقل آخر تم توزيع بقايا ملابسنا وارتديناها غير مصدقين أن نلبس قميصا وبنطلونا وجاكيت أو ملابس داخلية بيضاء (مدنى) وكان أخطر ما فى هذه الملابس هو الجورب والحذاء ، نعم حذاء ويا للهول !! لقد نسيناه لشهور طويلة وأصبحنا كلنا وبلا استثناء نتدرب على المشى حفاه . وكنا نتغزل فى لون الحذاء وشكله .. هل برباط أو سادة !! هل هو أسود أو بنى ؟؟ خيالات وذكريات عن الحذاء الذى نسيناه ، ولا يكابد الشوق إلا من عاناه . هذا عن الحبيب وليس عن الحذاء ، ويا للإنسانية المهدرة فى هذا النظام ، وبدأ كل من يملك حذاءه يتدرب على السير به فى زهو وخيلاء يحسدوننا عليه بقية الزملاء الذين لم يرحلوا إلى الفيوم وسيبقون بالواحات . وفى الصباح الباكر أعدت الترحيلة ، كل يحمل مهماته فى يد واليد الأخرى فى كلبش مع عسكرى . عسكرى لكل معتقل . وشحنا بعد وداع الزملاء إلى سيارات مصفحة مغلقة تماماً إلا من فتحة صغيرة فى سقفها للتهوية . وودعناهم بنشيد بلادى بلادى .

وتحرك الركب إلى المجهول مع ما يصاحبه من حراسة مشددة وضباط وترحيلة وجيش من النظام . ولمدة ساعات يسير الركب فى صحراء موحشة تحوى بقايا هياكل عظمية على سطح الأرض الرملية ، ولا أدرى من أين أتت ، ومئات الكيلومترات فى الصحراء القاحلة تعلوها أحجار كروية الشكل تشبه كرات القدم الكبيرة أو البطيخ ، وقال لنا شاويش يبدو أنه يسكن الواحات أن هذه المنطقة تسمى وادى البطيخ لتشابه أحجارها مع البطيخ من العصور القديمة . وحط الركب الحزين فى أقرب محطة للسكة الحديد بمحافظة أسيوط .

ويبدو أن محطة أسيوط قد أخليت تماماً من كل المسافرين وكل القطارات وامتلأت بالحراسة المشددة والسلاح .

وجاء قطار الصعيد وفى آخر عربة من عرباته أدخلونا إليها وكل معتقل مكلبش بعسكرى وكانت عربية مخصصة لنقل الحيوانات ، لا كراسى ولا رفوف ولا أى شيء يمت للآدمية بصلة وبدأت الأناشيد من الزملاء والأغانى الوطنية تصدح والناس على بعد تتساءل هل هؤلاء إسرائيليون مقبوض عليهم مثلاً ؟!

ولكن سحنتنا البهية ليست إسرائيلية بل مصريون قح . وسار القطار وفى محطة بنى سويف أقرب محطة لمعتقل الفيوم ، ونزلنا بحمولتنا مثنى مثنى (أى معتقل وعسكرى) وتم شحننا فى لوريات البوليس المغلقة .

- وتمام يا فندم .. وتمام التمام يا فندم .

وسار الموكب التعس حتى باب معتقل الفيوم بقرية العزب ، (وهى مدينتى التى كنت أعيش فيها) . وجلسنا فى فناء حوش المعتقل القرفصاء ورؤسنا منكسة حتى لا تصيب الشومة أى رأس مرتفعة .

ومعتقل الفيوم هو معسكر جيش إنجليزى تماماً كمعسكر الهايكستب بالقاهرة ، مجموعة عنابر مستطيلة متوازية يبعد كل عنبر عن الآخر بحوالى خمسين متراً ولكل عنبر باب ضخم يغلق من الخارج بالترابيس والأقفال أما شبابيك العنبر وملؤها قضبان حديدية بالطول والعرض (شبكة قضبان) وبلا شيش خشبى يمنع البرد أو الهواء ، وخارج العنابر دورة مياه وحوض غسيل من الصاج والحمام سداح مداح بلا أبواب ولكن له سقف صاج ، وبالحمامات مياه باردة ، والأدشاش مواسير فقط دون طاسة الدش فتنهمر المياه كالصاروخ على الاجساد العارية عند فتحها .

والمعتقل على بعد عدة كيلومترات قليلة من دير العزب حيث توجد كنيسة الفيوم الأثرية (كنيسة الأنبا آبرام) وحولها مدافن الأقباط بمحافظة الفيوم (ومن ضمنها مدفن أسرتى) ولقد ملت على صديقى الدكتور رفقى كامل فى جلسة القرفصاء وقلت له خلاص يا عم أنا جنب مدافن العيلة . لو مت . فالطريق قريب والمسافة قليلة ولن نحتاج إلى مصاريف نقل وجنازة ومستعد لأخذك معى وعلى حسابى بمدفن الأسرة . وابتسم .. أنت الأول .. وتوزع الوافدون على عنبر ١

وعنبر٢ بكل منهما ٢٥ معتقلاً ولنجد بالعنبر لكل فرد سرير عبارة عن لوحين من الخشب على حاملين حديد وبطانية ومخدة (نعم مخدة قذرة محشوة بالتبن) وجلس كل على سريره مع تعليمات الصول من الشباك كل واحد على سريره ممنوع التحرك .. ممنوع التكلم .. ممنوع الهمس .

وعند الظهيرة نودىّ على العنبر لخروج مندوب لاستلام الطعام من المتعهد .. متعهد يا الله .. أول الغيث قطره حيث الطعام أفضل قليلاً من سجن الواحات إن كان المتعهد أميناً ولن يسرق منه !

وخرجت مع المندوبين لأتعرف على المتعهد الذى حضر بنفسه أول يوم مع مساعديه وعرفت اسمه وفى سرية تامة وأثناء عملية الاستلام والعد ، أخبرته بأنى فيومى ومن شارع كذا وأسرة فلان ، وتأثر الرجل قليلاً ، وعاينت الطعام وطلبت منه بعض الزيادات فى الخبز والأرز وبعض الخضروات وقطعة حلاوة للعشاء وبيضة مسلوقة غير فاسدة وهكذا .. وبعد أيام لمحت المتعهد مع أوانى الطعام فخرجت بصحبة المندوبين الآخرين لعمل اتفاقية معه بزيادة بعض الأصناف والاستغناء عن عدد من الوجبات (العدد الرسمى) . ويقتسم بقية الزملاء الطعام سوياً .. وأستبدلتهم بصابونة أو شبشب أو فوطة وجه حسب الاحتياجات وطبعاً فى السر وليس العلانية ، ولكنه رفض استلام أو احضار أى خطابات خوفاً على حياته . وتحسنت نوعية الطعام وفوجئنا يوم جمعة بأن كومندان المعتقل يوزع جريدة الأهرام نسخة لكل عنبر والسبب لنقرأ مقالة هيكل (الجمعة فقط) . ألا يوجد غير هيكل ! .. ولكن لا راديو .. لا كتب .. لا ورق .. لا أقلام . وكان أفضل ما فى هذا المعتقل (المحسن) هو ارتداء الحذاء .

وفى هذه الفترة تعرفت على صول بالمعتقل يشرف على النظام وهو من أبناء مدينة الفيوم وعرفته منذ معركة ١٩٥٦ ، وبدأ يأمن لى ، وكتبت له خطابا لأسرتى تحت الاختبار ونجح فى ذلك وبدأت الرسائل ترد وترسل مع لفات صغيرة من الطعام يمكن إدخالها من قضبان الشبابيك ، وفتح الله على الصول من بقشيش

العائلات التى ترسل معه ما تريده ، إلى أن أبلغ عنه بعض زملائه الحاسدين ، وتم ضبطه فى طريقه إلى الفيوم ومعه رسائل من المعتقلين ومبلغ من النقود . وأحيل إلى التحقيق وتم للأسف فصله من الخدمة كما علمت بعد ذلك . وأغلق منفذ هام لتهريب الرسائل . وأسفت لحال حضرة الصول الذى لم يأخذ حذره .

وفى نهاية أكتوبر ١٩٦١ تقريباً سمعنا أنه قد تقرر سفر جزء منا إلى معتقل القلعة أو القناطر ولم تعرف إدارة المعتقل بالمكان . وحضر رئيس المباحث العامة بالفيوم العميد/ سعد مشعل وهو إنسان غير متعجرف كسابقه (عبد العزيز شاكر) الذى ذهب إلى موضع آخر وحيث ألقت ، فهو الذى كان سيقتل الزميل فوزى حبشى سابقاً وأخبرنا بأنه سوف يتم ترحيل حوالى ٢٠ معتقلا منا ولا يطلب الا السكون فى عملية النقل وعدم إحداث مشاكل ، وكان من ملاحظتى لهذا الضابط أن له حركة عصبية فى عينه وتحاشى النظر بها إلى المعتقلين .

وجاء الصباح وسيارات التراحيل وأيضاً الكلبشات وهى شر لا بد منه وأمامنا سيارات النجدة وخلفنا سيارات الشرطة والموتوسيكلات تفسح الطريق وكأنه موكب رسمى لكبار المسئولين باستثناء السيارات المصفحة ، وحط الرحال فى سجن القناطر وكان معى فى هذه الدفعة الكاتب المسرحى شوقى عبد الحكيم من بلدنا ومعرفته عتيقة .

وسجن القناطر يقع فى بلدة القناطر الخيرية منطقة الزراعة والأرض الرطبة مبنى بالحجر على الطراز الانجليزى ، مقسم إلى عدة عنابر والعنبر حوالى ثلاثة أدوار غرف كبيرة بالدور الأرضى زنازين صغيرة مغلقة تماماً الا من شباك قرب السقف محاط بالقضبان وبكل حجرة لها باب سميك مغطى بالصاج الأسود ومن الأمام يوجد بالباب ثقب مخروطى للداخل حتى يمكن للحراس النظر من هذا الثقب ورؤية الحجرة كاملة ومن بها وماذا يعمل ، أما من بالداخل فيرى من الخارج فى بقعة رؤية صغيرة . وحوائط سجن القناطر رهيبة فى فصل الشتاء لأنها (تنز مياها) وليس رطوبة فحسب ، فكنا نمسح المياه من على الحائط حتى لا تسقط

على أرضية الغرفة الأسمنتية فتزيدها بللاً ، والحمد لله كان الأكل تبع متعهد ولكنه لص صغير فى الكميات والأنواع لأن قيمة الوجبة لطول اليوم كانت فى حدود ثلاثة قروش (يابلاش) ، ومنع عنا (أهرام الجمعة) لماذا ؟ لا نعرف ولكن كانت سماعات راديو موجودة بالإدارة لا تذيع الا القرآن الكريم وقت الصلاة .

□ وكان سجن القناطر للنساء على مسافة قليلة من سجن الرجال وكل يحيطه سور عال . – وكان سجن النساء يحوى حوالى ٣٥ سيدة وآنسة من فضليات النساء وزوجات بعض المعتقلين السياسيين .. مدام ثريا زوجة المعتقل فوزى الحبشى ، سعاد الطويل خطيبة الدكتور شكرى عازر ، السيدة أسماء حليم زوجة الزميل أسعد حليم ، والسيدة ثريا أدهم زوجة الزميل حلمى يس ، وسميرة الصاوى زوجة الزميل أحمد طه ، وليلى شعيب خطيبة الزميل رجاء طنطاوى ، والرسامة إنجى أفلاطون خطيبة الدكتور فوزى منصور، وأخريات لا تسعفنى الذاكرة العجوز بأسمائهن " وأعتقد أن هذه أول مرة فى تاريخ مصر يتم اعتقال سيدات سياسيات فيها . وفجأة حدث شبه إنقلاب فى سجن القناطر .. فمنذ أيام حدث الانفصال السورى عن مصر وقيل فى أسباب الانفصال عدم اتصال جغرافى بين البلدين ، وعدم نضج الوطنية المحلية (والوطنيون بالسجون!!) وقوة ومركز الرأسمالية فى سوريا .. إلخ .. ونسى النظام أن تصدُع الجبهة الداخلية فى سوريا أثَّر على الوحدة بسبب الدكتاتورية وتحولت هذه القوى التى حمت استقلال سوريا، بالحرب بعضها ضد بعض " وأخطاء وجرائم الأجهزة البوليسية وتضييق الخناق، وكبت آراء الناس ومأساة الناس فى سوريا .

□ قصة عبد الناصر والشيوعيين ص ٢١٥

د/ عبد العظيم رمضان

وأغلقت العنابر وأعلنت الطوارئ وصياح وضجيج ، معتقلون جدد أو مسجونون أو زيارة مسئولين كبار .

ونظرت من ثقب الباب لأرى مشهداً لمجموعة كبيرة من الوافدين المقبوض عليهم يرتدون ملابس السجن الزرقاء وحفاة .. من هم ؟ لا أدرى .

وسمعت صوت أجش عالياً لصول العنبر قائلاً :

– عاوزين صابونة بريحة لسعادة الباشا .. ياولاد الكلب !

وحيث كنت محبوساً بالحجرة التى تطل علي هذه الطرقة وأردت أن أتبين من هو سعادة الباشا المسجون وقرعت الباب وقلت :

ـ يا حضرة الصول .. خذ الصابونة رغم أنى لست ابن كلب !!

وفتح الباب موارباً لأعطيه الصابونة أم ريحة ، وصدمني المنظر سعادة الباشا .. **هو وزير الداخلية الأسبق وسكرتير حزب الوفد .. فؤاد سراج الدين باشا** .. يلبس ملابس السجن الزرقاء مهدلة على جسمه حافي القدمين ولكن فى فمه سيجاره الفخم ينفس دخانه فى غيظ وقرف ، وخلفه وبجواره **الوزير إبراهيم فرج والوزير عبد الفتاح حسن** وكبار رجال حزب الوفد وبعض الرأسماليين والإقطاعيين.

وكان ممنوع الاتصال بهم أثناء طابور الفسحة ، هل هو خوف عليهم من التفكير اليسارى والشيوعى ، او خوف علينا أن نكون رأسماليين أعداء للوحدة .

وكان يرأس هذه المجموعة كبير عائلة شعراوى باشا حيث كان يجلسونه علي كرسي فخم في الشمس بجوار العنبر في روبه الثمين ، وعلب السجائر الأجنبية بجواره والجميع في خدمته لأنه كان يحضر طعامه من قصوره ، طعام يكفي كل إدارة السجن .

صـــورة الإفراج بالسنتيمتر !

الزمان : ١٩٦٢/١/١

المكان : سجن القناطر

هذا اليوم الكريه لابد أن يعكس التشاؤم على الإنسان لأن فى مثله ومنذ ثلاث سنوات كان يوم الاعتقال الدامى وفقد الحرية ، وبداية المعاناة .. ورغم أنى لا أميل أبداً إلى التشاؤم والتفاؤل لأن التفكير العقلانى لا يعتمد على خيالات الشطحات النفسية وتمنياتها حيث تكون أحداث الواقع هى التى تشكل صورة الحقيقة . ولكنها النفس البشرية التى تلج إلى الخيال ، وقت أن يعز الواقع وتحجب الرؤية الصحيحة صورة الحقيقة .

وفى هذا اليوم.. وبعد تمام الصباح ، فتح شاويش العنبر ابواب حجراتنا بالدور الثانى من السجن بعد أن نقلونا من الدور الأرضى إليه حتى تخلى حجراتنا لمعتقلى الرجعية (كما كانوا يسمونهم) وتنبه علينا بعدم الاختلاط بهم أو التحدث معهم أثناء طابور الصباح والفسحة لمدة ساعة ، ونظمت إدارة السجن المدة الزمنية للفسحة بحيث لا يختلط الحابل بالنابل .. لماذا ؟؟ ومن هو الحابل ومن هو النابل هنا ؟؟ هل إدارة السجن أم من يخطط للسجن من الإدارة العليا يخشون أن نتناقش معهم ، أو نحتك بهم ولماذا ؟ هل رجال أجهزة الدولة كانوا يخشون من مناقشة هؤلاء الزملاء الأغنياء وذوى السلطان والجاه والوزراء السابقين والإقطاعيين الكبار فيقتنعون بآرائنا ومبادئنا أنهم مصريون مثلنا لا أجانب .

وعندما قرعنا باب الحجرات للخروج إلى الفسحة ودورات المياه حضر شاويش العنبر وأخبرنا :

- مافيش فسحة النهاردة .

- ليه يا شاويش ؟

- مش عارف .

وجلسنا كل يبحث عن السبب فى هذا الحرمان ! هل هناك مخالفة وعقوبة ، أم غضب من إدارة السجن ، وعند استلام طعام الغداء تأخر التوزيع ولم يخرج مندوبنا للاستلام . ونودى علينا ونحن حوالى ١٥ معتقلاً دفعة أولى وخرجنا إلى فناء السجن حيث بصيص شمس الشتاء فى القناطر الثلجية . وانتظرنا قليلاً وحضر مسئول فى ملابسه الملكية الفاخرة وكرافتته فخمة وحذاء لامع ، لم نشاهد مثل هذه الملابس منذ فترة طويلة وكان كل شىء قبل ذلك (كاكى × كاكى) .

- أنا العميد / **أحمد صالح داود** نائب رئيس المباحث العامة وحضرت بالنيابة عن اللواء حسن المصيلحى وفى حديث خاطف قال سنفرج عنكم قريباً .. لا أعلم متى ولكن قريباً ، ولقد سمحت لكم بقراءة الصحف (الخطابات ممنوعة) وعلى فكرة ..هكذا قال وكأنه يتذكر .

الإفراج سيكون واحد واحد أو اثنين معاً وليس كل يوم .. بل أنتم يوم ويوم آخر للإخوان المعتقلين .. ويوم ثالث للرجعيين (وكأن حتى عملية الإفراج مخطط لها) وبذلك نفرج عن كل الاتجاهات السياسية وليس عن اتجاه معين ، حتى لا يقال عنا فى العالم أننا نفضل البعض على الآخر أو أن الحكومة لها اتجاه واحد إما يسارى أو إخوانى أو رجعى رأسمالى، أى أن هناك خريطة مدروسة بدقة وعناية لعملية الإفراج . وانسحب وهو يقول سأراكم قريباً فى مبنى المباحث بالقاهرة ، وفارقنا وإدارة السجن فى حالة انتباه تام وانضباط وخوف .

ومضت أيام بعد هذا اللقاء ونودى على زميلين استعدوا للترحيل ويأخذ كل منهما حاجياته الشخصية وبقية ملابسه التى أصابها التخزين والفئران .

ومر يومان أو ثلاثه ونودى على زميلين أخرين وتم ترحيلهما وهكذا ، وفى اليوم المقرر لخروجى خرجت مع السيارة وضابط وشرطيين (ولكن بدون قيود حديدية كالمتبع) وإلى مبنى المباحث العامة بلاظوغلى ، وإلى أحد المكاتب الإدارية وبطاقة استعلام الاسم والسن والعنوان محل الإقامة ، ثم إلى التصوير ، صورة من الأمام ، وصورة من جانب الوجه ونسوا أن يتم التصوير للظهر أيضاً

.وبعدها توجهنا إلى مقابلة ضابط كبير الرتبة والذى استقبلنا بحمد الله على السلامة .. أزمة وعدت .. وعفا الله عما سلف .

-(وفى عقلى تساءلت) كيف يعفو الله عما سلف فى هذه الأمور .. وصافحنا ومع السلامة وعندما تصلون إلى منازلكم أخطروا فرع المباحث بمكان إقامتكم .

وأمر الحراس بمصاحبتى حتى باب وزارة الداخلية وتوصيلنا إلى الشارع العمومى حتى لا يعترضنا أحد .

وفى أول الشارع كانت أولى المشاكل حركه .. ناس ..مواصلات .. ألوان ..ملابس .. أشجار .. سيارات وترام .. وعمارات .. خليط من الحياه افتقدتها وانمحت من الذاكرة وارتبكت الأمور فى عقلى .. بل وفى أعضاء جسدى .. وحاولت لملمة قواى وأرجلى واستندت على حائط حتى يمكننى السير فى جو الحرية الذى افتقدته وبصعوبة شديدة وصلت إلى ميدان التحرير بالقاهرة الذى يعج بالبشر والمبانى العالية والحركة السريعة مذهول مما حولى ، وجلست على كرسى حجرى بالميدان أستعيد قواى وماذا سأفعل ..

أثناء تواجدى بمبنى المباحث سلمونى حوالة بريدية بمبلغ ثلاثة جنيهات كانت مرسلة من زوجتى ولم تصلنى وتعطف أحد المسئولين بعد توقيعى عليها بالاستلام بإعطائها إلى أحد الموظفين للتوجه بها إلى مكتب بريد لاظوغلى وصرفها وتسليمى هذا المبلغ لأتصرف به للوصول إلى مدينتى الفيوم .

وتساندت حتى وصلت إلى أتوبيس الفيوم وفيه وطوال الطريق كان الشعور بالحنين يؤلمنى .. الحنين إلى الزوجة والأطفال والمسكن .. الحنين إلى الأحباء والأقارب وشوارع المدينة وذكرياتى فيها .. حنين وتفكير وتوقعات لا نهاية لها .

وبدأت الأفكار الضبابية من أين سنأكل وأعول الأسرة ، لقد سبق أن صدر القرار الجمهورى رقم ٥٧١ لسنة ١٩٥٩ وبعد ثلاثة شهور فقط من الأعتقال بفصلنا جميعاً من الخدمة والوظائف الحكومية .. لماذا ؟ لأننا خطر على الأمن العام ؟؟!!

هل نحن قطاع طرق مثلاً أو زعماء عصابات أو تجار ممنوعات نمثل

خطورة على الأمن العام .. طيب وماذا سنعمل بعد الإفراج وبلا جريمة أو اتهام أو حكم محكمة . واشتريت بما تبقى معى من الثلاثة جنيهات المباركة بعض الفاكهة حتى يكون دخولي إلى أطفالى الثلاثة يشغلهم عن التفكير فى هذا الوافد للأسرة . لو كانوا قد نسونى ، وقرعت باب شقتى وفتح الباب ..بكاء ...عناق .. قبلات .. إغماء .. لهفة و أشواق .. إنفعالات نفسية عميقة لا نهاية لها .

وبدأ الجيران والأحباب يتوافدون للتهنئة . وكل منهم بل وكلهم ، وفى لفته إنسانية من شعبنا المصرى الودود وبكل الحب كل زائر يحمل شيئا كريماً يدل على الاصالة والمحبة والمودة . هذه شنطة لحوم وفراخ ، وأخرى سكر وشاى وصابون وثالثة مواد غذائية وفاكهة وزجاجات شربات وكل ما يلزم الأسرة من احتياجات ، وأمتلأت الشقة بخيرات المحبين الأصلاء والجيران الودودين بما يكفى تموين الأسرة لعدة شهور .

وفى الليل وضحت مشكلة طريفة لقد حاولت النوم على سريرى للاسترخاء والراحة ولكنى فوجئت بعدم استطاعتى ذلك ، أحسست أثناء غفوتى بالسقوط من السرير للأرض فأصحو مذعوراً لأنه طيلة السنوات السابقة كنت أنام أرضاً ، ويبدو أن الاحساس بالجاذبية الأرضية من الأماكن المرتفعة عن الأرض ولفترة طويلة كان الأحساس بالخوف من السقوط يلازم الإنسان ، ورغم التصاقى بالحائط عند النوم ووضع وسائد بجوارى خوفاً من السقوط لكن كان الجسد قد تعود على النوم أرضاً . ومشكلة طريفة أخرى .. أن طفلى الصغير(ماجد) ثلاث سنوات والذى ولد بعد اعتقالى بشهور قد التصق بوالدته فى نومها وقال ببراءة محببة ، أنا أنام فى حضن ماما أنت صغير زيى وعاوز ماما .. ماما بتاعتى أنا بس .

أما أطفالى الآخرون (جهاد) ٦ سنوات و (أمل) ٥ سنوات فقد تقبلانى ببساطة لأن والدتهم الزوجة العظيمة ، كانت دائماً تحدثهما عنى ، وكانت تريهما ملابسى فى دولابى يتحسسونها ويشمونها ويعبثون بها ، هدوم بابا .. وحاجيات بابا .. ودولاب بابا .. وصور بابا الذى سيعود من سفره قريباً .

ومن اللقطات الحزينة المؤلمة التى سمعتها إن ابنى جهاد فى أثناء غيابى

توجه إلى سطح المنزل وعينيه متوجهه إلى السماء ويتضرع لها ويقول ياربِ .. يارب عاوز بابا وحشنى ، أنت يارب تقدر على كل شيء وتقدر تجيب بابا .. مناجاة وابتهالات موجعة من طفل صغير . وكانت الزوجة تضع النقود ومصروف المنزل ومرتبها فى جيب جاكيت معين من ملابسى ومن يريد شيئاً منهم يتوجه إلى جيب بابا .

وفى الصباح ذهبت لمقابلة المسئولين بالفيوم لإخطارهم بعودتى وحتى لا تحدث مشاكل وتقابلت مع العميد عبد الرحمن مكى نائبهم وجلست وأخرج من درج مكتبه ورقه أعطاها لى .

ـ هذه الورقة تخصك .

ـ إنها قسيمة زواجى ... يبدو أنهم استولوا عليها عند التفتيش منذ ثلاث سنوات.

ثم سألنى عن فلان اسم مجهول لى وسرحت وقلت أنا لا أعرف أحدا بهذا الاسم !!

ـ بل تعرفه

ـ لا أعرفه

وثار وطلب من شرطى خاص بمكتبه ملفا وأحضر الملف وجلس وهو يقول لقد قابلت هذا الشخص يوم كذا الساعة كذا فى مكان كذا ..

وأيضا كرر موعدا آخر وأيضاً موعدا ثالثا .

ـ ما رأيك هل لا تعرفه أم انك فقدت الذاكرة ؟ (وباشمئناط)

ـ لا ياسيدى لأنه ببساطة شديدة فى كل هذه التواريخ المدونة بتقارير التحرى، كنت وقتها فى سجن الواحات الخارجة .

وأسقط فى يده وغادرت مكتبه وأنا أقول فى نفسى هذه هى التحريات ودقتها.

صــــورة البحث عن عمل

مرت شهور كريهة بلا عمل .. طرقت كل أبواب الأعمال الحكومية وغيرها وخاصة وزارة التعليم والتى كنت أعمل بها مدرساً للتربية الفنية بالتعليم الإعدادى ، وعضواً بإدارة الوسائل التعليمية بالفيوم وتقدمت بعدة شكاوى ومذكرات لإعادتى للعمل، ولكن رفض الطلب واعتذر الآخرون لأن القرار الجمهورى الناهى للخدمة حازم جازم ولا رجعة فيه ولا بصيص ضوء ينفذ منه .

من أين يتعيش رب أسرة إذا كانت كل الأبواب موصدة فى وجهه ولماذا هذه المعاملة ؟؟!! .

وللأسف الشديد .. علمت أثناء مشاغباتى فى البحث عن عمل ، أى عمل أن لجماعة الاخوان المسلمين المفرج عنهم سواء أكانوا معتقلين أو محكوما عليهم ، وضعا مختلفا تماماً .

عندما يفرج عن أحدهم اعتقال أو سجن وحكم وتأدية العقوبة مهما طالت عشر سنين أو أكثر مثلاً ، كان بمجرد الإفراج عنه يجد كل تسهيل ممكن .. يعود إلى عمله فوراً مهما طالت مدة انقطاعه .. يصرف كل مستحقاته .. مرتب وعلاوات وترقيات طيلة مدة الاعتقال وكأنه كان يعمل بخدمة الدولة دون أى انقطاع أو غياب وبذلك يصرف كل هذا فى سهولة ويسر وفوراً .

وتساءلت فى نفسى: ترى لماذا هذه التفرقة ؟؟

الأخوان المسلمون وتنظيمهم السرى وأفرادهم الذين دمروا وقتلوا وخربوا وحاولوا اغتيال جمال عبد الناصر ذاته فى حادث المنشية بالإسكندرية يلقون هذا الترحاب والمعاملة الطيبة والود المتبادل ويصرفون آلاف الجنيهات عن مدة السجن والاعتقال ، أما غيرهم .. البساريين والشيوعيون والمفكرون فلا .

هل النظام أصبح اخوانياً أو متعاطفاً معهم أو يسيطر على أجهزة الدولة لأن

القوانين واللوائح والتعليمات تقضى بمساعدتهم وحدهم ؟؟ وأن اليسار والشيوعيين والمفكرين الذين لا يحملون سلاحاً أو قنابل أو رغبات شريرة وسلاحهم الوحيد الكلمة والورقة والقلم والفكر والرأى هم الأعداء وحتى النهاية .

مفارقات عجيبة الشأن فى هذا الصدد .. ومرت شهور بلا عمل .. بلا أمل .. بلا دخل . ولجأت إلى صديق قريب من العائلة هو الأستاذ سامى داود الصحفى ونائب رئيس تحرير جريدة الجمهورية وكان يعرف تماماً مشكلتى فى البحث عن عمل وتوجهت معه خلال شهر أبريل ١٩٦٢ لمقابلة مسئول يمكنه حل مشكلتى لإيجاد عمل لى .

وتقابلنا مع مسئول هو رئيس مجلس إدارة الشركة العقارية المصرية (قطاع عام) إحدى شركات وزارة إستصلاح الأراضى وهو الرجل الواعى المثقف **محمد عبد الرحمن نصير** ، وكان إلى جانب رئاسته للشركة هو الأمين المساعد لأمانة الدعوة والفكر لحزب الحكومة والتى كان يرأسها كمال رفعت..وفى جلسة هادئة وبعد أن عرف بعض ما تعرض له كل المعتقلين الأشراف من ظلم وتعذيب انتهى بالإفراج إلى البطالة وكأنها حرب واضطهاد فى الداخل والخارج .

وأصدر قراراً بتعيينى بالشركة بمرتب متواضع يتناسب مع من يعمل بالشركة فى حالة تساوى المؤهل وتاريخه .

واستلمت العمل شاكراً .. وكان لا بد أن أبذل أكبر جهد ممكن حتى أثبت كفاءتى وخبرتى واخلاصى تقديراً لهذا الرجل الكريم الذى مد يده لى فى محنتى .. وبدأت فى تحقيق رغبته فى إعداد مجلة شهرية تصدر باسم الشركة ، واتفق على اسمها (**الأرض**) وتعاونت مع مجموعة طيبة من زملاء وبدأت المجلة فى الصدور وبانتظام وبشكل طيب للغاية . وكانت تطبع بمطابع جريدة الشعب .

وكان من ضمن موضوعاتها أحاديث لى مع الأستاذ / سامى داود الصحفى والأستاذ / ألفريد فرج الكاتب المسرحى والصحفى الزميل صلاح حافظ وغيرهم مما أخرج المجلة من دائرة المجلات الفئوية إلى المجلات العامة بموضوعاتها المتنوعة . وهكذا سار الحال حتى توليت منصباً مهماً بالشركة بعد طول عناء وكفاح.

• العمل فى استصلاح الاراضي جهاد .. والموت فيه استشهاد .

• للصديقين عبد المحسن أبو النور .. ومحمد نصير ، جهود اشتراكية ويجب أن تكون قدوة للكثيرين .

• مجلة الارض مرت بتجربة الولادة خلال صور مختلفة .. وتقترب تدريجيا من تحديد اهدافها

• مثل هذه المجلات المتخصصة تنتشر بكثرة فى المجتمعات الاشتراكية .



الاستاذ سامي داود الصحفي.. الاذاعي .. صديق عزيز لشركتنا.. ومجلتنا .. يعرفه القراء جيدا . فهو المحرر المسئول بجريدة الجمهورية وصاحب برامج « أعرف نفسك » وندوتنا مع الميثاق بالاذاعة ..

وله تاريخ فى الكفاح ضد الرجعية ومن الداعين الى الاشتراكية وقت سيطرة الانجليز والقصر على مصر .

ما رايك فى مجلة الارض التى نصدرها بالشركة ؟ ؟

● المفروض فى هذه المجلات ان تنتشر بكثرة فى المجتمعات الاشتراكية حيث يتعاظم دور العمال فى ادارة وتيسير وتحسين وسائل وزيادة الانتاج بنفسه .. وحيث يعتبر الوعى الاشتراكي وتوثيق الروابط بين فئات العمال والمشتركين فى حقول متشابهة ركنا اساسيا من اركان النضال التقدمى بوجه عام ..

وفى جميع الدول الاشتراكية ينشىء ويصدر عمال المصانع .. والتعاونيات .. هذه المجلات المتخصصة .. ويتم تبادل نسخها بين جميع فئات العمال المتشابهة فى حقول العمل .. وتعنى هذه المجلات دائما الى جانب الابحاث العلمية التى تسعى الى الحصول عليها من المختصين .. تعنى الى جانب هذا بنشر خلاصة التجربة التى تتم فى داخل المصانع أو التعاونيات وما تحرزه من نجاح وما يتصدى لها من عقبات ..

كما انها تفتح باب الراى للوصول الى حلول لمشاكل الانتاج) بالاضافة الى ابواب التوعية العقائدية والابواب ذات الصبغة الثقافية والفنية واخبار العاملين وما يحرزونه من تقدم فى مختلف الميادين .

اعداد : صليب ابراهيم

وللأسف الشديد لا تزال مصانعنا .. وتعاونياتنا .. تفتقر الى هذه الصحافة المتخصصة .. فلا اعرف فى مجال العمل الزراعى مثلا .. الا المجلة التى تصدرها دار التعاون وهى مجلة مركزية يمكن أن تعبر عن مشاكل واهداف وحياة العاملين بالتعاون الزراعى بوجه عام ولكنها لا تنبع مباشرة من أرض التجربة .. (والمجلة الثانية التى اعرفها هى مجلتكم التى تصدرونها) .

وبوجه عام فالمجلات التى تصدرها المصانع والعمال يشوبها دائما

أولا : عدم انتظام الصدور .

ثانيا : الرياء والنفاق .. وكانها نشرات دعاية لاجهزة الادارة .

ثالثا : سيطرة عنصر الفكاهة والاخبار شبه الشخصية وانعدام المادة الثقافية الحقيقية سواء اكانت تدور حول الجوانب السياسية أو حول الصناعة نفسها وتجارب العاملين بها .

يجب التوسع

وفى اعتقادى ان التوسع فى اصدار هذه المجلات بعد تحديد اهدافها لابد منه فى وقت يتم فيه التحويل الاشتراكي وتبدأ فيه فترة الانطلاق التى تحمل فيها جموع العاملين مسئولية العمل ودفع وسائل الانتاج .. وادارة هذه الوسائل وتنفيذ اجراء الخطة الملقاة على عاتق كل مجموعة منهم .. وان تجارب كل وحدة من وحدات العمل يجب أن تكون فى خدمة جميع الوحدات الاخرى .

وكل نجاح تحرزه وحدة من هذه الوحدات يجب أن تستفيد منه سائر الوحدات بالتعرف على الطريق اليه ومناقشة هذا الطريق .

ضيف العدد



الأستاذ ألفريد فرج

- واجب الفن من أجل عمال التراحيل .. هو نفس الواجب عند خط النار .
- قرارات يوليو الاشتراكية .. اكدت الاحساس بصحافة البناء .
- التفرغ الادبى ظاهرةمن معالم الثورة .
- مرزوق وحماره أول تجربة فيلم سينمائى ريفى
- مجلة الارض .. تحقق طرفى رسالة الصحافة .

اعداد : صليب ابراهيم

الفريد فرج .. الكاتب المسرحي الكبير والحائز على تفرغ الدولة فى الادب المسرحي.. ومؤلف مسرحية « حلاق بغداد » التى عرضت على المسرح القومى خلال الموسم السابق

اديب من ابناء الطليعة الفكرية فى بلدنا .. ورائد من رواد الفكر المسرحي طالما قرانا له الكثير على صفحات آخر ساعة.. حتى حصل على تفرغ الدوله للعمل فى الكتابة المسرحية .

وفى رقة .. وترحيب شديد .. رحب بعدسة الارض .. وكان هذا الحديث .. بلا الحاح .. بلا اجهاد كما تعودت مع ضيوفنا الاعزاء فى احاديث سابقة ! !

ماذا كتبت خلال تفرغك للعمل المسرحى وهل سنشاهد لك جديدا هذا الموسم ؟

اولا : قمت بكتابة مسرحية « سليمان الحلبى » وهو موضوع تاريخى مستمد من الحادثة المشهورة الخاصة بقتل كليبر أيام الحملة الفرنسية .. وسوف تعرض هذه المسرحية على المسرح القومى هذا العام .

ثانيا : قمت بكتابة تجربة لعلها الأولى من نوعها فى هذا الميدان . . وهى كتابة فيلم سينمائى ريفى لحساب شركة « فيلمنتاج » السينمائية ـ فلقد لاحظ المهتمون بالحركة السينمائية فى جمهوريتنا العربية ان كل ما يعرض من أفلام سينمائية ـ هى افلام المدينة ـ افلام بندرية ـ وان الريف لم ياخذ حقه من نهضتنا الفنية ـ لذا تقرر القيام بتجربة عمل فيلم ريفى اصيل تنعكس فيه حالة الفلاحين فى الريف .. وهى تجربة جديدة حقا .

بلا نجوم .

ولقد كتبت قصة هذا الفيلم واسمه ـ مرزوق وحماره ـ وهى قصة تصور حالة فلاح يدعى مرزوق فقد منه حماره ثم يبدا فى البحث عنه فى القرى ويتعرض من خلال بحثه الى مشاكل تقابله ـ وهى قصة ريفية بسيطة . بلا أبطال .. بلا نجوم .. غير مرزوق ـ والحمار ـ وفيه يتم استعراض الحياة والمشاكل فى الريف واستخلاص عبرة من ذلك . وسوف يعرض هذا الفيلم فى الموسم السينمائى القادم. ولقد بدات الدولة فى عمل خطة سينمائية للريف ولقد تقرر انشاء ٤ آلاف وحدة سينمائية ريفية فى الخطة الخمسية القادمة .

التفرغ الادبى

ما رايك فى التفرغ الادبى فى بلدنا ؟

الحقيقة ان التفرغ الادبى ظاهرة من معالم الثورة فى بلدنا . فهو



الضيف يقول :

- صحافة المستقبل هى صحافة الجماعات والفئات ..
- ما اعجبنى .. وما لم يعجبنى فى (مجلة الأرض)
- مسرحية (الخبر) التى هاجمها النقاد لازمها سوء الحظ فى القاهرة .. ونجحت فى الاسكندرية ..
- نعم كتبت للسينما .. قصة (المتمردون) .

الأستاذ صلاح حافظ المحرر الأدبى بمجلة آخر ساعة ومؤلف مسرحية الخبر التى عرضت على المسرح القومى بالقاهرة فى الشهر الماضى .. كاتب .. فنان .. طبيب فهو وان كان فى مقتبل عمره (٣٥ سنة) الا انه ذو تاريخ ادبى .. فنى .. ولقدعرفه القراء على صفحات روزاليوسف عندما كان يكتب « انتصار الحياة »منذ عشر سنوات ومن بعدها على صفحات «آخر ساعة» وهو يسجل بقلمه اللاذع باب « قف » ..

اعداد : صليب ابراهيم

وفى مكتبه بدار اخبار اليوم .. التقينا « ست مرات » لاعرض عليه اعداد « الأرض » ليقول فيها رأيه .. وفى كل مرة كان يضع امامه القلم والورق ليكتب .. ولكن دوى العمل الصحفى كان يعترض الكتابة دائما . الى ان كانت المرة السابعة .. ورغم طلبه فى اجتماع هيئة تحرير آخر ساعة فقد اصر على ان يكمل كلامه .. لاعتزازه بمجلتنا ..

وانتهى الحديث بعد طلوع الروح .. روح الضيف .. منى ومن الحاحى المستمر لاستكمال الموضوع وتقديمه للقراء ..

صحافة المستقبل

ما رايك فى صدور مجلة الأرض عن الشركة ؟؟

الحقيقة .. ان صحافة المستقبل .. هى صحافة الجماعات والفئات .. ان تعدد الصحف فى الماضى كان يعكس تعدد الطبقات والأحزاب والمصالح .. ولكن المجتمع يقترب شيئا فشيئا من وضع يصبح فيه كل الناس عاملين ، ولهم مصالح واحدة . ولا يعد هناك مبرر لتصدر الصحف الا ان تكون لكل منها مهمة خاصة .. (اخبارية ـ ثقافية ـ علمية .. الخ)

او ان تخاطب كل منها فئة خاصة: الشباب ـ الجنود ـ العمال ـ الزراعيون ـ الطلبة .. الخ .

وبوادر هذا الاتجاه تبدو واضحة فى كثرة عدد الصحف المتخصصة التى صدرت فى السنوات الأخيرة ، ومنها مجلة « الارض » التى تصدرونها .

ما يعجبنى .. ومالا يعجبنى

اذن ما رايك فى مجلة الأرض بعد اطلاعك على اعدادها ؟؟

يعجبنى أولا شعارها « العمل لاسعاد المجموع »

ويعجبنى ثانيا انها « صحيفة » وليست نشرة فنية اقتصادية .. لقد لاحظت ان معظم الصحف التى تصدرها جماعات خاصة تقصر مادتها على المسائل الفنية أو العلمية الخاصة بالجماعة التى تصدرها . . ولا تراعى ان هذه الجماعة فى حاجة الى معرفة أخرى غير المعرفة الفنية او المهنية . معرفة بالعالم ، وحركة أحداثه ، وتاثير هذه الأحداث على مصالح الجماعة ، ومعرفة بالفن والأدب .. والثقافة .. الخ .

اما مجلتكم ، فمن الواضح انها تحسست الطريق السليم ، وعرفت كيف تجعل من نفسها منبر توعية لجمهور قرائها .

اما الذى لم يعجبنى ، فهو بعض القصور فى فن التحرير الصحفى والاخراج .. وهو قصور طبيعى تماما فى الاعداد الاولى من اية صحيفة جديدة .

تخصص الكاتب

ما رايك فى تخصص الكاتب ؟؟

من الخير بالطبع أن يتخصص الكاتب ، وهذا هو الاتجاه الطبيعى

صـــــورة مع (المفترس) .. وجهاً لوجه

الزمـان : تبخر من الذاكرة العجوز

المكـان : مكتبى بالشركة التى أعمل بها .

أثناء انهماكى فى العمل حضر إلى مكتبى زميل بالشركة كان قد تغيب فترة طويلة .. كان المهندس الزراعى جمال الشرقاوى وهو قطب إخوانى كبير وكان يعرف ظروفى السياسية , ولقد أمضى فترة الحكم عليه فى إحدى قضايا تنظيم الاخوان المسلمين , وبصحبته ضيف آخر .. وبعد القبلات والسلام والأحوال علمت أنه قد أفرج عنه بعد إنقضاء فترة سجنه وحضر لتسوية أموره المالية بالشركة ولصرف كل مستحقاته كأنه لم يتغيب يوماً واحداً مع مرتبه وعلاواته ..وكـأنه تماماً موجود بالعمل .. وابتسمت له .. يا بختك يا باشمهندس , وقلت له أصل إحنا وقعنا من (قاع القفة) كما يقول المثل العامى , وضحكت له وقلت لو كنت أعرف ذلك الترفيه والمعاملة الحسنة لكنت انضممت منذ زمن طويل إلى جماعة الإخوان المسلمين !!؟ وضحكنا لكنه استطرد قائلاً : آه ممكن بس أسمك صعب شوية (هل الحكومة تتبع الاخوان المسلمين ؟)

وقدم لى الضيف الذى يصحبه

ـ ألا تعـرفه ؟؟ إنه اللواء **إسماعيل همت** !

وكأن مساً كهربائياً عالى الفولت قد مسنـى .

– إنت إسماعيل همت رئيس مصلحة السجـون ؟

أنت شاهدت قتل **شهدى عطية** وقتل **فريد حداد** وقتل **محمد عثمان** وغيرهم وغيرهم .. أنت الذى أشرف على تعذيبنا فترة طويلة .. سحلت الزملاء

وعلقتهم على العروسة عرايا وجعلتهم يضربون بالكرابيج والشوم وكعوب البنادق على اللحم بعد خلع ملابسهم وكنت معهم.. أنت صانع جيش من العراة الحفاة من أشرف الناس المناضلين والمثقفين والقيادات العمالية فى مصر بمعتقل الفيوم والقلعة وأبو زعبل والواحات وغيرها .. وأنطلقت فى وجهه كصاروخ مملوء بالألم والمعاناة والتعذيب الذى عاد إلى الذاكرة فى هذه اللحظة . أنت أشرفت على تعذيب الدكتور فؤاد مرسى والدكتور إسماعيل صبرى عبد الله والدكتور لويس عوض والدكتور فايق فريد ومحمود أمين العالم والدكتور عبد العظيم أنيس وغيرهم وغيرهم من رموز الوطن الشرفاء .

إسماعيل همت .. أحد رجال السلطة المسعورة . ألم تكن تفكر ولو للحظة واحدة أن تتم عدالة السماء بالقصاص منك , إن الله قد يمهل ولكنه لن يهمل ما فعلته .. سينتقم من جسدك فتصاب بالعمى أو الشلل . أنت تعلم طبعاً ماذا حدث مع مساعدك الضابط عبد اللطيف رشدى عندما نقل إلى أحد مراكز أسيوط وظن أن هذه البلدة تتبع مصلحة السجون فأهان كبيرها يوماً وتم الانتقام منه وتصفيته بمدفع رشاش وهو فى حجرة نومه ومات وأصبح كخرقة بالية .. هل تذكر يا همت ماحدث أيضاً للواء **حمزة البسيونى** وقت أن كان مدير السجن الحربى , وكان يقف وحوله كلابه المسعورة تنهش أجساد المعتقلين العارية ويقول لهم أنا هنا ربكم الأعلى .. من يريد شيئاً أستطيع أن ألبيه له وأستطيع قتلكم فوراً وأنهى حياتكم برغبتى . كيف مات حمزة البسيونى يا همت , كان يسير بسيارته فى منطقة مظلمة بالقاهرة ودخل بالسيارة فى سيارة أمامه محملة بأسياخ حديد التسليح الذى اخترق صدره وأصبح شبكة لحم فاسد كريه .

تذكر يا همت ماذا فعلت ؟ ألا يؤنبك ضميرك فتحس بندم على ما فعلت! وتجمع حولنا زملاء العمل مأخوذين وشرحت لهم حقيقة هذا الرجل المفترس وماذا فعل فى حياتى وكيف قام وأشرف على تعذيب أشرف العناصر الوطنية فى بلدنا.. وأنه .. وأنه .. وأنه .. , وانكمش إسماعيل همت فى مقعده وتلاشى وجوده وتمتم فى ذلة وانكسار:

:ـ أنا مليش دعوة ودى كانت التعليمات وأنا غير مسئول وأنا عبد المأمور والمساعدين هما اللى كانوا بيعملوا وأنا مكنتش موجود و.. و..

وتمالكت أعصابى وانفعالى وطلبت منه الخروج من مكتبى وإلى خارج المبنى .



من أقوالهم ؟

لقد حقق نظام عبد الناصر إنجازات كبيرة فى حقل التصنيع وحركة التحرر الوطنى العالمية ، وصفقة الأسلحة الشرقية ، وبناء السد العالى ، ونقل الجيش المصرى إلى عصر الصاروخ وناضل ضد الاستعمار ومن أجل الوحدة العربية .. ولكن الكثير من هذه الإنجازات سقط بسبب الدكتاتورية .

فقد سقطت الوحدة العربية ، وأما القوات المسلحة الجديدة فلم تمنع احتلال إسرائيل سيناء مرتين وإعادة الاستعمارإلى المنطقة العربية أقوى ما يكون تحت اسم التعاون وحماية الوطن من الأعداء العرب ! ! كما حدث بعد احتلال العراق للكويت وأما القطاع العام فهو فى طريقه للزوال بعد مشروعات الخصخصة .

وهكذا يثبت التاريخ أنه لا شيء يدوم إلا إذا قام على أساس احترام حقوق الإنسان وعلى أساس الديمقراطية وإرادة الشعوب.

- (**قصة عبد الناصر والشيوعيين**) الجزء الأول ص ٣٢٠

د/ عبد العظيم رمضان

من أقوالهم ؟

ويقول طاهر عبد الحكيم : كان بيننا وبين النظام الناصرى دم شهداء عديدين سقطوا تحت التعذيب ، ومرارة خمس سنوات من السجن والاعتقال والتعذيب والحرمان من أقل الحقوق الإنسانية وفوق ذلك كان بيننا وبين هذا النظام ما أصاب شعبنا ، وأصاب النضال الوطنى الديمقراطى العربى كله من نكسات طوال تلك السنوات الخمس التى ساد فيها العداء للشيوعية والديمقراطية .

فإن إصرار النظام الناصرى على احتكار القيادة ، واحتكار حق العمل السياسى لفئة التكنوقراط - رغم كل الدعاوى عن تحالف قوى الشعب العاملة - ولانفراد من جانب قيادة هذه الفئة ، أى النظام الناصرى بحق إصدار القرار السياسى - كان تعطيلاً لحركة الثورة وتعطيلاً للقوانين الموضوعة لحركة التاريخ ، وتعطيلاً لنمو لقوى القادرة على السير بالثورة حتى نهايتها.

ذلك أن خمس سنوات من التعذيب والحرمان والمنفى والتفسخ الداخلى كل ذلك ولا شك كان له تأثير سلبى على نضالية أعداد كبيرة من المسجونيين حينما كانوا يخرجون من السجن مفصولين من أعمالهم محرومين من مصدر للقوت ، تنتظرهم مشاكل اجتماعية واقتصادية تراكمت طوال سنوات ، وصاحب العمل الوحيد هو الدولة ، فإن هؤلاء كانوا سيقبلون بسهولة أى نظرية تعفيهم من مسئوليتهم النضالية وتسهل لهم السعى للتعايش مع النظام .

* (كتاب الأقدام العارية . الشيوعيون المصريون وخمس سنوات فى معسكرات التعذيب)
طاهر عبد الحكيم ... طباعة بيروت

من أقوالـهم ؟

الواحـات الخـارجـة ؟ من هو الـفاشـى الذى تفـتق فـى ذهـنه الشـرير عــن فكرة نفـينا فـى الصـحـراء ؟ كـان الفـاشـست يلقـون بالمنـاضلين الوطنييـن إلى أفران الموت وهؤلاء الفاشست هل يسوقوننا إلى الموت جوعــاً وعطشـــــاً ؟

هل دبروا لنا الموت بسم الثعابين فى الصحراء ؟!؟

وانتبهنا فجأة على صوت سجان شرير يقول لدغـة الطريشة (حيـة خطيرة) .. هنا هى والقبر على طــــول .

فى لحظة تجسـد أمـامـى صـور مـعسكرات النازى وأغلب الظن أن هؤلاء الفاشيين لم يستخدموا نفس الأساليب التقليدية للتعذيب ، وربما كانــت خطتـهم تقوم على إلقائنا فى الصـحـراء نهباً للذئاب والثعالب والثعابيـن.

فـأى فـاشى حـقـيـر هذا الذى دبـر لنا الموت بهـذه الطـريقـة القـذرة الدنسـة ، إن كل أفـراد النازى ومـعسكراتـهم وكل أسـاليـبـهم الوحـشيـة تتدارى خجلاً أمام هذه الفكرة الشيطانية .

* (ذكريات السجن والاعتقال)

مصطفى طيبـة

من أقوالـهم ؟

بحر من التضحيات فى وضح النهار ، موسيقاه رنين الهراوات علـى الأجساد وقرقعة الخطوات المتكسرة بين صفين من الجنود يضربون بلا تمييز وحين يأتى الليل ، ويأوى الرفاق إلى أرض جرداء بزنازين مظلمة تحوم فى جو أسئلة بكماء . وإجابات هائمة وخيالات الأسرى عن يوم من أيام الصحراء ، دونوا فيه أسماءهم فى سفر مجهول أمام هولاكو (**يدعى همت**) . ذكرى لم تمض عليها ساعة.. صورة ميدان التعذيب والأنفاس الطاهرة النشوى بنشيد الآلام ، والأجسام الممشوقة بالجوع تسارع ركضاً والآفاق المعبرة حين العودة وضجيج الضحكات ترحب بالزنزانة وأمان الجدران ، ضحكات ساخرة مما كان .. نحن عرايا الكل أمام الآخر عريان لكن البسمة هزمت قهقهة الجبار المجنون (هولاكو) .

* **(أوردى ليمان أبو زعبل) حسن المناويشى**

من مقدمة عبد الخالق الشهاوى ص ٩

من أقوالهم ؟

ثم أخذونى فى سيارة إلى سجن القلعة وكان يركب معى الكاتب شوقى عبد الحكيم وبعد فترة رحنا إلى سجن أبو زعبل الشهير وهو السجن الذى يقضى فيه عتاة المجرمين (فترة الأشغال الشاقة) حيث يقطعون الحجر من الجبل .

وكان قد سبقنا إلى المعتقل فى يناير الكثيرون من المثقفين والعمال أغلبهم من الشيوعيين وأقلهم مثلى من الديمقراطيين ولكن لم أتصور قط أن المعاملة ستكون على هذا النحو البشع وخاصة مع فريق من الوطنيين الذين يؤيد بعضهم الثورة ، ويؤيدها البعض الآخر بشروط ، وينقدها البعض الأخير دون أن يتجاوز هذا النقد حدود العمل السلمى. فالشيوعيون المصريون ، بعكس التيارات الإسلامية لا يحملون السلاح وكل مضبوطاتهم هى الكتب والنشرات .

* (المثقفون و السلطة فى مصر)

د / لويس عوض ص ٣٢٧

من أقوالهم ؟

مضت عشرة أشهر اجتزنا فيها تجربة طالت وكأنها عشر سنوات .. أعنى تجربة أوردى أبو زعبل بما تعنيه من عذاب يومى وإهدار لآدمية المعتقلين ، وعمل كالسخرة فى جبل أبو زعبل ثم قتل لعدد من زملائنا .

إنها باختصار تكرار لما صنعته النازية فى خصومها السياسيين فى معتقلات أوروبا المشهورة ، ولم يكن ينقصها لتصبح الصورة مطابقة تماماً غير غرف الغاز.

* (من رسائل الحب والحزن والثورة)

د/ عبد العظيم أنيس ص ٤٧

من أقوالـهم ؟

ظللت مع غيرى من قوى اليسار أكثر من خمس سنوات سجيناً فى عـهـد عبد الناصر وتعرضنا فى السجون لمعاملة بالغة السوء وهناك مـن ماتوا تحت التعذيب .. ومع ذلك فيوم خروجنا أيدناه .

وأذكـر فى وقت كـان التـعـذيـب فـيـه وكنا حـفـاه وشـبـه عـراة ومطالبيـــن بنقـل جبـل على أكتافنا من موقع إلـى موقع ثم إعـادته إلى مـوقـعـــه الأصلى ، أذكـر فى يوم مـا وكـان قد تلقى فـيـه زمـيلنا الدكتور إسماعيــل صبرى عبد الله قدراً مكثفاً من التعذيب أذكر فى هذا إليوم أننى قلت لــه وكلى انفعال : أليس مـن واجبنا يوم أن نـخـرج من هنا أن نســـوى حساباتنا؟؟!

ورد هو : سنخرج فى يوم ما وسنؤيده .

* محمد سيد أحمد أهرام ٢٨ سبتمبر ١٩٩٥ .

من أقوالـهم ؟

اجرى .. اجرى .. اجرى

الكرابيج والعصى الغليظة لا تترك فرصة للتفكير

اركع .. اركع .. اركـع

وضـربات الشـوم ودبشك البنـدقيـة لا يكفـ عن الـعمل فـى جسـدك ونار هائلة مشـتـعلة تكاد تشم منهـا رائحـة أجساد بشرية تشوى وبعض رؤسـاء قبـائـل اكلة لحـوم البـشر تجلس فـى انـتـشاء وهـى تـتـفـرج على الفريسة .

* ثنائية السجن والغربة

د/ فتحى عبد الفتاح ص٨٠ .

من أقوالـهم ؟

ولعلى قـد حـرصتُ دومـاً أن أتجنب الحـديث عن الحـوارات الناصريـة - وهى حوارات ذات مذاق خاص - مرير ومتوحش - فقد أدمن عبـد الناصـر حـواراً مع خـصـومـه - أيـاً كـانوا عـبـر أدوات من التعذيب شبه النازى . لكنى لم أزل أمتلك سؤالاً محيراً أتمنى لو أحداً يمنحنى متعة التعرف على إجابته .

لماذا كان ذلك كله ؟؟ فالبعض يعذب سجناءه بحثاً عن معلومات مختزنه

فى أعماقهم أو استكشافاً لنوايا أو توصلاً لاعتراف . لكن عبد الناصر كان يعذب وفقط من أجل متعة تعذيب خصمه وإذلاله وتنقيته من أى شوائب للقدرة الجسدية أو النفسية أو العقلية على أن يتواصل مع لا .. التى قالها أو همس بها أو انتوى أن يهمس بها يومـاً .

فهل كان عبد الناصر أو الناصرية بحاجة إلى ذلك بينما كان التفـاف الناس حولها كافياً .. وموحياً وقادراً على القيام بهذه التنقيـة .

- إن وجد أحد من خبراء الناصرية أو أنصارها أو خصومهـا إجابـة ممكنة الفهم - سأكـون لـه ممتناً.

*** عن كتاب (مجرد ذكريات) .. د/ رفعت السعيد**

الجزء الأول ص ٢٢٥

من أقوالـهم ؟

من أعطى الأمر بالقتل ؟

من خطط للتعذيـب ؟

....

قصة معادة ، من أمريكا اللاتينية إلى آسيا ،حينما يختفى زعمـاء المعارضة فى الظلام أو يطلق عليهم الرصاص فى وضح النهار وفـى مطارات بلادهم .

الأسـئلة ، هى ، هـى . المحـقق والسـجـان بأوسع المفـاهيم ، المحتـرف ، والمرتزق ، والسادى ، والمتخلف عقلياً وسياسياً ، المنفذ الأعمى للأمـر والذى يستمتع بتنفيذه .

قصة معادة من المحيط الهادر للخليج الثائر .. ولكن الجديد هنا أن تنشـر وثائقـها للمـرة الأولى ، ينسج المحقق المصرى خـيوط شبكتـه وبصبر تقليدى يثبت تخبط أقوال (السجان والباشسجان) لكى نكتشف ساعتها العالميـن الذين نعيش فيهما وتفصل بينهما شعرة مـــن دم .

لكن السؤال الذى يطرحة هذا الكتاب .. الوثيقة .. لماذا ؟؟

سؤال من الضرورى أن يجاب عليه فى زمن لا تطرح فيه الأسئلة، فى زمن يعتبر العنف الذى تمارسه أجـهـزة الرأى الآخـر .. شـيئـاً طبيعيـاً .

لكن لماذا ؟؟!!

*** عن كتاب الجريمة .. وثائق عملية اغتيال شهدى عطية**

د/ رفعت السعيد

من أقوالهم ؟

هذا الكتاب لم يصدر تصفية لحسابات أو إثارة لحزازات ، لقد صدر لأنه ضرورة .

بعضها من ذاكرة التاريخ فى مصر ، إنه شهادات عن فترة تاريخية فاصلة حفلت بالأحداث والرؤى السياسية و المواقف والمتتاليات ، وما تركته من آثار على مجرى الثورة الوطنية الديمقراطية ، إن تجارب الشعوب هى أثمن ما نمتلك من ثروة ، انها ذخيرة الأجيال التالية تتلمس من خلالها الخطأ والثواب لتقوم بدورها التزاماً بوطنها . فالماضى والحاضر والمستقبل كل متصل . ونحن الذين سبقنا لا نملك غير أمانة الشهادة ميراثاً نسلمه لمن بعدنا. واجباً علينا لهم .

وكما اخترنا طريقنا ، فلكل جيل أن يختار ، فالإنسان إرادة واعية تختار فتلتزم فتتحمل المسئولية ، وهذا الكتاب دعوة ونداء إلى كل الأبناء .

* الشيوعيون وعبد الناصر (الجزء الاول والثانى)

د/ فخرى لبيب

صـــــورة

ذكرى زميل وصديق مناضل
الكاتب شوقى عبد الحكيم

هناك وفى الحياة أصدقاء وضعوا بصمة واضحة فى مسيرة عمرهم ، ويصبح فى عداد شخصيات لا تنسى ، يذكرهم الأصدقاء ويذكرهم التاريخ بماضيهم وكفاحهم وشرف كلمتهم .. فالإنسان المناضل بعد رحيله وبعد أن قال كلمته ومضى .. يترك تاريخه للأجيال التى ترد بعده وتكون هاديه ومرشده لمرحلة كفاح ونضال كان الثمن فيها غالياً وكانت التضحيات ترسم طريقاً مضيئاً وتخط أملاً واعياً للمستقبل . وكان من هؤلاء الشرفاء .. الزميل الكاتب المسرحى ، وعالم الأثنوجرافيا والمناضل بالكلمة والقصة والمسرحية والمقال ..

شوقى عبد الحكيم

وللزميل شوقى حياة طويلة (٦٩ عاماً) عريضة فى دروب الحياة والأدب والفكر من مواليد مدينة الفيوم عام ١٩٣٤ .

وفى مطلع شبابه اتجه إلى البحث ودراسة العديد من السير والملاحم وسافر إلى أقاصى الصعيد وإلى الوجه البحرى مسجلاً مدققاً باحثاً ومستمعاً لكل فنون الفلاحين وآرائهم وأقوالهم .

الأعمال الكاملة

شوقى عبد الحكيم

الجزء الثالث

- بيروت البكاء ليلاً
- حق الدواعلى الحين
- لصوص الموتى
- حكاية بنت اسماعيلية
- الذبائح
- العركة
- عبدة الأصنام
- عنكبوت
- حكاية قبطية
- لص الملوك



١٩٩٨

وكان أول كتاب له (أدب الفلاحين) كتب مقدمته الدكتور مصطفى مشرفة.

وكانت من أجمل دراسته فى صباه أيضاً والتى عاصرت كتابتها وهو فى مقتبل عمره ، عن العوالم وأهل المزازيك والفن الشعبى فى محافظة الفيوم .

فقد سجل حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم فى دراسة واقعية فنية تبين أحوال قطاع من حياه فئة بعض المهمشين فى الدنيا ، وسار على الدرب الفكرى والبحثى فكتب وبحث ودقق ، وكانت حصيلة كتبه أكثر من أربعين كتاباً طبعت بمصر وبيروت .

وتحوى موسوعة الفولكلور والأساطير العربية . وكتب أيضاً ١٨ مسرحية مستلهمة من التراث الشعبى ، منها شفيقة ومتولى ، المستخبى ، حسن ونعيمة, خوفو ، الشبابيك ، الأعيان ، مولد ملك عجوز ، أوكازيون ، رمسيس وغيرها.. وصدر له العديد من الروايات مثل أحزان نوح ، دم بنى يعقوب ، الموت و التفاهة ، الضحك والدمامة ، إستراكون عربية أو هجائيات عربية .

ترجم له عملان إلى الإنجليزية هما : الأميرة ذات الهمة وبيروت البكاء ليلاً.

أعد أول باليه شعبى من ثلاثة فصول لفرقة رضا للفنون الشعبية ، وبدأ شوقى عبد الحكيم العمل عام ١٩٦٢ محرراً أدبياً بجريدة الأهرام ونشر بها بعض النصوص المسرحية التى عثر عليها فى محافظة الفيوم من مآسى ومرتجلات ، ثم التحق بجريدة الأخبار عام ١٩٦٤ .

وفى عام ١٩٧٨ سافر إلى لبنان ومكث بها خمس سنوات وشاهد الاجتياح الإسرائيلى لبيروت وكانت قصته الرائعة بيروت البكاء ليلاً .

انتقل إلى لندن بعد ذلك واستمر هناك حتى عام ١٩٨٩ وعمل أثناءها فى الصحف العربية , وقام بتحقيق دراسة عن كثير من الملاحم والسير الشعبية مثل الزير سالم، سيرة بنى هلال ، وعنترة ، والأميرة ذات الهمة .

واعتمد فى تحقيقه على مخطوطة بالمتحف البريطانى تقع فى ٨ أجزاء

وتصل صفحاتها إلى أكثر من ٢٠ ألف صفحة . وفى السنوات الأخيرة بدأ ينشر مقالاته فى صحيفة الأهرام كل يوم أحد وتحت عنوان (تراث ومأثورات) ويخصص كل مقال فيها لجزء من دراسات الأدب والفولكلور وجزء ثان فى نفس المقال عن مشاكل الحياه اليومية ويتابع فيها ما يحدث من تطورات فى المجتمع . ومن مسرحياته التى عرضت على خشبة المسرح .. مسرحية شفيقة ومتولى من إخراج كمال عيد للموسم المسرحى ٦٣/ ٦٤ بمسرح الجيب ومسرحية حسن ونعيمة إخراج كرم مطاوع موسم ٦٤/ ٦٥ بمسرح الجيب ومسرحية الملك معروف إخراج سمير العصفورى موسم ٧٤/ ٧٥ ومسرحية أوكازيون إخراج المخرجة الرائعة الدكتورة ليلى أبو سيف أستاذة المسرح موسم ٧٦/ ٧٧ للمسرح الكوميدى ، وتمت إعادة مسرحية شفيقة ومتولى إخراج أشرف زكى موسم ٩٧/ ٩٨ مسرح الغد .

وكانت آخر مسرحياته التى عرضت على مسرح الطليعة عام ٢٠٠٣ مسرحية بمالى أفعل ما بدالى .

تم تكريمه فى الدورة الوحيدة التى أقيمت فى مصر تحت عنوان الملتقى العربى .

كما تم تكريمه فى الدورة الخامسة لمهرجان القاهرة الدولى للمسرح التجريبى .

وكان لشوقى أحباء وأصدقاء ومريدون , وطلاب دراسة وبحث وأصحاب رسائل جامعية يطلبون مشورته وتوجيهاته ومراجعة كتبه للاسترشاد مع الرأى والمشورة ، وذلك بشقته بالدور الخامس عشر بإحدى عمارات جزيرة الذهب بالمنيب ، نتردد عليه جميعاً ونمضى سهرات قد تطول كل الليل ، وكان من الأصدقاء الدكتور بهاء نصر رئيس القسم الطبى بأخبار اليوم والدكتور الأديب طارق أبو الحسن بالتأمين الصحى والدكتور فتحى عبد الفتاح رئيس القسم الأدبى بجريدة الجمهورية والأديب القصاص سمير عبد الفتاح والأديب المؤلف ابن الفيوم ربيع مفتاح والأستاذ نبيل حامد الباحث بمركز بحوث جامعة القاهرة وغيرهم .....

ومن مدوناته كانت عن الجمل رمز الصبر والمشاق .

جمل المحامل

جمــــل المحــامل بـــرك وكان حالـــه الأعود وسـنـــد

يقوللو يا بدر خدنى معاك وأنا أكتب لك حجـــاب وسنـد

يقوللـــو لـفيـت الكـــون ملقتش صــــدر حنين وسـنـد

يفوت الأعـود على الجـمل يقوللو ياما مهابيل تقول وطول

شئ من سوء بخت الجـمل جالــــه الأعــــود وسنـــــد

خطـابى

لـــو كـــان ليه جـمـــل فى فن الشيـــل خطـابى

ما كـــان غراب البيـن حــــــــــاربنى وخطابــى

يافـــــــــادى قلبـــى أثنــــين خطـــابــــى

سـايق عليك النبى يارب ياخالـق اللبن فـــى البز

تقوم البكــــر مثل عاداته بحسنه راحت ليالى الهنا

وآدى ليــــالى الغلـب ســــــــد خطـــــابــــى

ومن المواويل

أنا دخلت جوه البلد سراً أريد النـــــاس

لقيت ابن العلالى وطـى والندل فوق النـاس

أنا عاشـرت كـل الملل حتى الغجـر ياناس

إحنـا سمعنا مثل من كبار النـــــاس

الناس بالنـاس كرهونى ولاد أمـــــى

....

يادنيا الشوم يكفيك هزل بزيـــــادة

وإن خس مالى حدايا أحباب بزيـــاده

نزلت سوق الدلالة بشترى صبر وزيـادة

ورضيت بحكمك عـلىّ يارب بزيـادة

وكانت المجموعة التى تجتمع ليلاً تشترك فى الطعام والشراب مع المناقشات الأدبية والاقتصادية والسياسية ، وتدب أحياناً خلافات الرأى والمناوشات وينصرف البعض إلى منزله بعد منتصف الليل ، وكان شوقى عبد الحكيم دائماً يسهر طول الليل فى مسامراته وكتاباته لأنه كان يعيش وحيداً .. فقد كنت أصحبه حتى الصباح إلى أن يخلد إلى النوم العميق فأتركه وأعود إلى منزلى بمصر الجديدة ، وكان من الممكن جداً عندما أعود صباحاً ويستيقظ من نومه فيطلبنى تليفونياً ويستفسر عن سبب مغادرتى بيته وكأن اليوم لم ينتهى بعد .

وكان له مع البخل اللذيذ رأى خفيف الظل يقول فيه أصل الجنيه اللى يدخل جيبى لا يخرج أبداً إلا بالطبل البلدى !! ولقد كان مدخناً شرهاً وهذا ما أثر كثيراً على حياته . وأذكر أنه ذهب فى رحلة علاجية إلى الدينمارك وهناك منع من التدخين تماماً ، ولكنه لم يستطع تنفيذ ذلك ، وأقام فى إحدى حجرات المستشفى للعلاج وأغلق النوافذ والأبواب وتغطى بالبطاطين على رأسه وكل جسمه وبدأ يتلذذ بتدخين سيجارته ، وإذا بأجراس الخطر تدق وتضاء اللمبات الحمراء بالمستشفى وكأن حريقا شب لأن الأجهزة حساسة للدخان ورائحته ، وكانت حكاية جعلته يضحك كثيراً لأنهم كشفوا ألاعيبه .

وبعد فترة مرضية طويلة رحل إلى العالم الآخر فى يوم ١٥/٨ / ٢٠٠٣ تاركاً وراءه ذكرى عطرة وحبا وصداقة وتاريخ طويل من الكفاح وإنتاج وفير فى الأدب والمسرح، رحمه الله .

آخــر صــــورة

كلمــة رثــاء .. ووفـــــاء



السيدة إلين هارون الراهب (زوجتى)

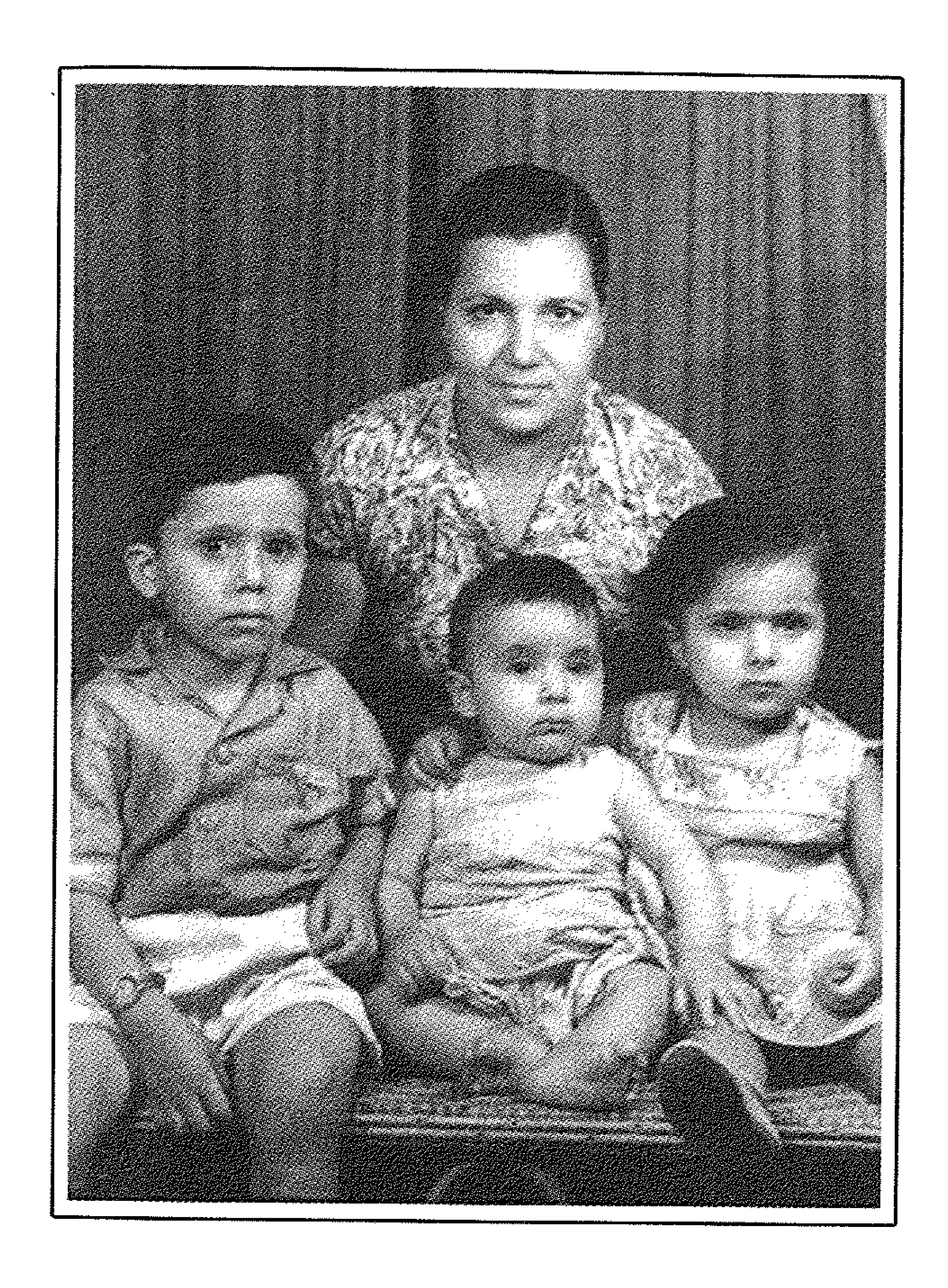
تقود مسيرة وطنية من سيدات وزارة التربية والتعليم بالفيوم فى شوارع المحافظة أثناء فترة عدوان ١٩٥٦ على مصر .

قامت بدور كبير ومميز أثناء عدوان ١٩٥٦ على الوطن واشتركت وساهمت بجهد ملحوظ فى التعبئة السياسية والوطنية بمحافظة الفيوم ، وكان لأصولها الريفية النقية والمحبة للجميع والمضيافة للأصدقاء الذين يصلون إلى مدينة الفيوم للمساهمة فى النشاط الثقافى الذى كنا نقوم به فى أنحاء المحافظة ، وكان لوجباتها الريفية الدسمة فى استضافتنا لكثير من أصدقاء الكلمة والرأى الذين يصلون إلى ساحات

الفيوم الثقافية ومنهم صلاح جاهين وفؤاد حداد والشاعر كمال عبد الحليم والدكتور حسين كمال الدين والمثقف محمود أمين العالم والذى سمينا طفلتنا أمل على اسم ابنته وبعد اعتقال الزوج ، وشقيقه ثابت إبراهيم ثم أعقب ذلك وبعد شهور قليلة رحيل شقيقهم الثالث ومن بعده زوج شقيقته تاركاً عددا من الأبناء بلا مورد محدد، وحملت الزوجة عبء حماتها المسنة وأعباء أكثر من أسرة إلى جانب ثلاثة أطفال صغار بمرتب حكومى ضئيل كمدرسة بالتربية والتعليم . وبدأت فى أثناء فترة الاعتقال بالاتصال بعائلات الزملاء المعتقلين بالفيوم ومحاولة معاونتهم بتقديم وكتابة الشكاوى للمسئولين وتحرير خطاباتهم ومساعدتهم فى حدود الامكانيات التى كانت متاحة حين ذاك .

استدعاها لأكثر من مرة الضابط عبد العزيز شاكر رئيس المباحث العامة بالفيوم وحذرها .. ثم هددها بوقف نشاطها والاتصال بعائلات المعتقلين وفرض رقابة بوليسية على تحركاتها ، وحملت بصلابة وشجاعة وشرف ووفاء عبء غياب الزوج وتعرضت لأزمات كثيرة فكانت فعلاً الزوجة والمرأة الفاضلة وبمحبتها وتدينها العميق .

رحلت فجأة من الحياه فى سلام وطمأنينة فى ١٩٨٤/٩/٢٦ تاركة سيرة عطرة وحقاً السيرة الطيبة أطول من العمر ، وكانت فعلاً ذكرى الصديق تدوم إلى الأبد .



إحتفاليـــة الأمـومـة والطفـولة بمعـتـقل الواحـات

عيد الأم .. وعيد العمال العالمي .. كان من ضمن الأعياد التى تثير الشجن بسجن ومعتقل الواحات .

وكانت تقام لها مناسبات خاصة ما بين أناشيد، وأغاني ومواويل شعبية .

وفي عيد الأم، وكالعادة علقت البطاطين على الحوائط ونشط الفنانون ورسموا شعارات مناسبة بالقطن الطبى، الذى أمكن الحصول عليه .

وكان معرض صور أهالى المعتقلين وأطفالهم مثار إهتمام الجميع .

وكانت الصورة الموضحة – هى التى فازت فى معرض صور الأمومة والطفولة .

بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الشعب

محكمة استئناف القاهرة

المأمورية (٢٣) مدنى

حكم

بالجلسة المنعقدة علنا بسراى المحكمة الكائن مقرها بدار القضاء العالى بشارع ٢٦ يوليو القاهرة

برئاسة السيد الاستاذ المستشار / فضل زهران .... رئيس المحكمة .

وعضوية السيدين الاستاذين / سامى عبد الله اسماعيل وفؤاد راشد . المستشارين .

وحضور السيد / جمال محمود زكى .... امين السر .

أصدرت الحكم الاتى :

فى الاستئناف المقيد بالجدول العمومى تحت رقم ١٣٩٧٤ سنة ١٠٨ قضائية .

المرفوع من السيد / صليب ابراهيم خليل – المقيم ١٥ شارع النزهه بمصر الجديدة ومحله

المختار مكتب الاستاذ / فاروق مراد المحامى .

ضد :

السيد / وزير الداخلية بصفته – ويعلن بهيئة قضايا الدولة بمجمع التحرير قسم قصر النيل .

الموضوع :

استئناف الحكم الصادر بجلسة ٩١/١١/٢٥ من محكمة جنوب الابتدائية فى الدعوى رقم ١٤٢٤٢ / ٩٠

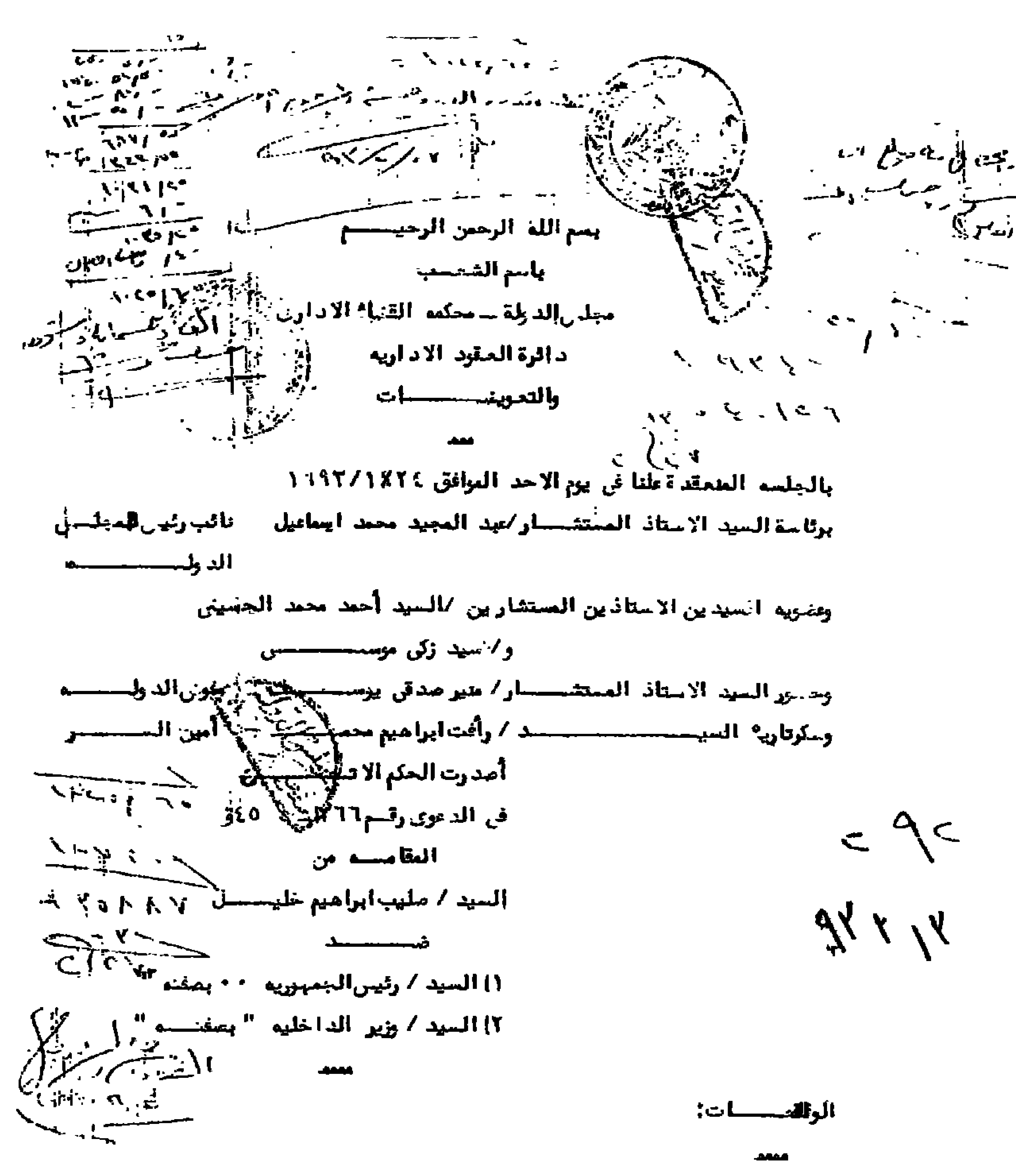
المحكمة :

بعد الاطلاع وسماع المرافعة الشفوية والمداوله قانونا ..

وحيث ان وقائع النزاع سبق ان فصلها الحكم المستأنف ونحيل اليه فى هذا المقام ، ونورد الوقائع فى ايجاز بقدر ما اقام المستأنف الدعوى رقم ١٤٢٤٢ لسنه ٩٠ مدنى كلى جنوب القاهرة طالبا الحكم بالزام المستأنف ضده بان يؤدى له مائة ألف جنية ، وقال انه اعتقل من سنه ١٩٥٩ الى سنه ١٩٦٢ وتعرض للتعذيب على ايدى تابعى المستأنف ضده ، وقد ناله من جراء ذلك ضرر مادى وادبى ، وبجلسة ٩١/١١/٢٥ قضت محكمه اول درجه بالزام المستأنف ضده بان يؤدى للمستأنف مبلغ تسعه الاف جنية .

وحيث ان هذا القضاء لم يلق قبول المستأنف فقد اقام عنه هذا الاستئناف بصحيفة اودعت قلم كتاب هذه المحكمه فى ٩١/١٢/٣١ وجرى اعلانها للمستأنف ضده طلب فى ختامها الحكم بقبول الاستئناف شكلا وفى الموضوع بتعديل الحكم المستأنف الى الزام المستأنف ضده بان يؤدى له مائة الف جنية ، والمصروفات ومقابل اتعاب المحاماه عن الدرجتين بحكم مشمول بالنفاذ المعجل

القضاء يدين التعذيب الوحشي



بسم الله الرحمن الرحيم

باسم الشعب

مجلس الدولة ـ محكمة القضاء الادارى

دائرة العقود الاداريه

والتعويضات

بالجلسه المنعقدة علنا فى يوم الاحد الموافق ١٩٩٢/١/٢٤

برئاسة السيد الاستاذ المستشار/عبد المجيد محمد اسماعيل نائب رئيس مجلس الدولة

وعضويه السيدين الاستاذين المستشارين /السيد أحمد محمد الحسينى

و/السيد زكى موسى

وحضور السيد الاستاذ المستشار/ منير صدقى يوسف مفوض الدولة

وسكرتارية السيد / رأفت ابراهيم محمد أمين السر

أصدرت الحكم الاتى

فى الدعوى رقم ٦٦ لسنة ٤٥ق

المقامه من

السيد / مليب ابراهيم خليل

ضد

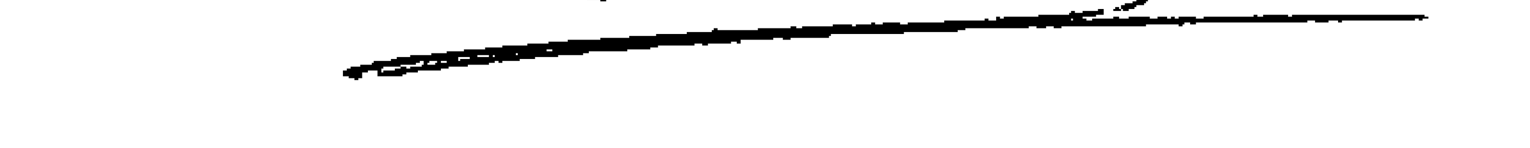
١) السيد / رئيس الجمهوريه " بصفته

٢) السيد / وزير الداخليه " بصفته "

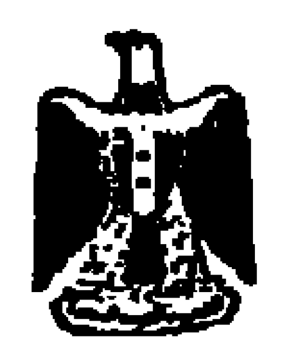
الوقائع:

أقام المدعى هذه الدعوى بموجب عريضه مودعه قلم كتاب هذه المحكمه بتاريخ ١٩٩٠/١٠/٢٠ طالبا فى ختامها الحكم بالزام المدعى عليهما بصفتهما متضامنين بان يدفعا له التعويض عن قرار اعتقاله والمصروفات.

وقال المدعى شرحا لدعواه انه اعتقل فى أول يناير ١٩٥٦ دون مبرر وأفرج عنه فى ٢٠ يناير ١٩٦٢ وذلك طبقا للقانون ١٦٢ لسنه ١٩٥٨ قانون الاحكام العرفيه الذى لا ينطبق عليه لانه ليس من الخطرين على الامن ولا المشتبه فيهم ويحق له اقامه هذه الدعوى للتعويض عن الاضرار الماديه والادبيه التى لحقته من جراء اعتقاله بلا مبرر خصوصا انه حرم من مرتبه وفصل من عمله بوزارة التربيه



محكمة مجلس الدولة تدين الفصل التعسفى بدون إتهام





رئاسة الجمهورية العربية المتحدة

مكتب الرئيس

٤٢٧٦

٦/٦/٦٩

الاخ الاستاذ صايب ابراهـــيم

٣ شارع احمد خشبة ـ النزهه ـ مصر الجديده

بعد التحيـــه ،

لقد اطلعت على البحث الذى اعددته حول "حقيقة اسرائيل بين التوراه والانجيل" ، ونظرا لأهمية هذا البحث وقيمته فقد تم عرضـــه على السيد الرئيـــس .

واننى اذ أشكرك على الجهود التى بذلتها فى هذا البحـــث فما زلنا نتطلع الى المزيد من أمثالـه .

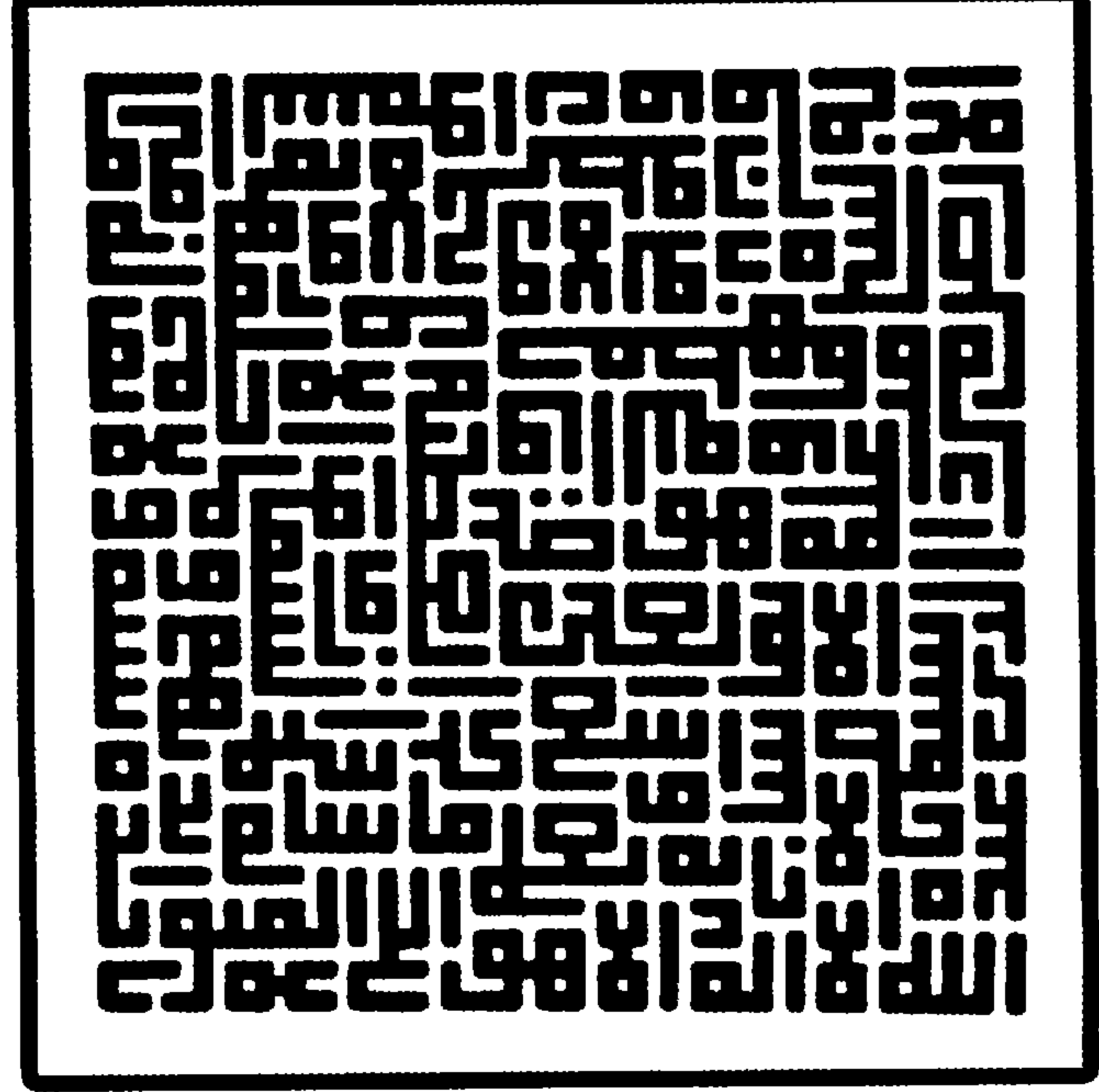
ويسعدنى ان توافينى دائما بما تقوم به من دراسات حول هـــذا الموضوع .

وتقبلوا خالص تحيتي وشكري .

سكرتير رئيس الجمهوريه

(سامى شرف)

آية الكرسي بالخط الكوفي القديم



آية الكرسي بالخط الكوفي القديم بريشة كاتب
هذه السطور ومحفوظة بمتحف الثورة بالقلعة



مراجع للزملاء .. ولتنشيط الذاكرة

- مجرد ذكريات ج١ و ج٢

  د/ رفعت السعيد

- الشيوعيون وعبد الناصر ج١ وج٢

  د/ فخرى لبيب

- ثنائية السجن والغربة

  د/فتحى عبد الفتاح

- رسائل الحب والحرية والثورة

  د/ عبد العظيم أنيس

- معتقل كل العصور

  فوزى حبشى

- قصة عبد الناصر والشيوعيين ج١ وج٢

  د/ عبد العظيم رمضان

- السجن والوطن

  فريدة النقاش

- الجريمة. وثائق اغتيال شهدى عطية

  د/ رفعت السعيد

- المثقفون والسلطة فى مصر

  د/ لويس عوض

- ذكريات السجن والاعتقال

  مصطفى طيبة

- مذكرات معتقل سياسى

  السيد يوسف

- أوردى ليمان أبو زعبل

  حسن المناويشى

- الأقدام العارية

  طاهر عبد الحكيم

- يوميات الواحات

  صنع الله إبراهيم

بيان للذكريات

صفحة

صفحة

.. وفى يوم قارس، وفى تمام السابعة صباحاً بحوش سجن الواحات الخارجة، نتراص جميعاً فى صفوف على حصى أرض مغمورة بندى الشتاء وأرجل حافية وأجساد عارية، وجدت نفسى أسرح مع خيالى الى خارج السجن .. الى زوجتى وأبنائى الثلاثة .. والأم .. والأخت .. والعائلة .. والمنزل .. والحى .. والمدينة.

وأحسست بغصة تدمى قلبى وكأنها قبضة حديدية موحشة تضغط على شرايين الفكر والقلب، فالحنين أوجاعه تماماً كأوجاع الجسد بل وأشرس منه.


0657477